القسم الثاني
(٣)

ميـــــلاد فـــرقـــة
Birth of a Sect

دعوى التطور الروحي للنبي والطعن في طريقة الوحي :

يبدأ رودينسون كلامه عن محمد صلى الله عليه وسلم في الباب الثاني من كتابه ، بما يسميه التطور الروحي لمحمد Muhammad's spiritual development والذي أصبح الآن خاضعًا لعوامل خارجية كثيرة في زعمه ،كما سيتضح من كلامه في ما يلي .

يشير الكاتب إلى غار حراء الذي كان النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ يذهب إليه يتعبد فيه الليالي ذوات العدد من شهر رمضان من كل عام ، حتى جاءه جبريل بالقرآن عن الله تعالى كما هو معروف ، مدعيًا شأنه شأن كثير من المستشرقين، أن دخوله صلى الله عليه وسلم الغار كان بغرض الاسترواح والتفكير والتأمل في الملكوت ، وهروبًا من جو مكة الخارق والصاخب .وأن تحنثه في الغار على هذا النحو كان مجرد عادة انتقلت إليه إما بطريقة مباشرة عن اليهود والنصارى ، أو غير مباشرة عن طريق الحنفاء الذين أخذوها بدورهم عنهم .

ويستشهد رودينسون على طبيعة الوحي الذي كان يأتي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بحديث السيدة عائشة بشأن ابتداء الوحي . والذي جاء فيه «أول ما ابتدئ رسول الله صلى الله عليه وسلم من الوحي الرؤيا الصادقة ،وكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح ثم حبب إليه الخلاء فكان يأتي جبل حراء فيتحنث فيه ـ وهو التعبد ـ الليالي ذوات العدد ، ويتزود لذلك ، ثم يرجع إلى خديجة فتزوده لمثلها حتى جاءه الحق وهو في غار حراء ، فجاءه الحق فيه فقال : اقرأ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقلت : ما أنا بقارئ . قال : فأخذني ، فغطني حتى بلغ مني الجهد ثم أرسلني فقال: اقرأ . فقلت : ما أنا بقارئ فأخذني فغطني الثانية حتى بلغ مني الجهد ثم أرسلني فقال: اقرأ ، فقلت ما أنا بقارئ . فأخذني فغطني الثالثة حتى بلغ مني الجهد ثم أرسلني فقال (اقرأ باسم ربك الذي خلق) حتى بلغ (ما لم يعلم) ، قال: فرجع بها

ترجف بوادره حتى دخل على خديجة فقال :(زملوني زملوني) فزملوه حتى ذهب عنه الروع ، فقال : يا خديجة مالي فأخبرها الخبر . فقال قد خشيت على نفسي : فقالت له : كلا ، أبشر ، فوالله لا يخزيك الله أبدًا ، إنك لتصل الرحم وتصدق الحديث وتحمل الكل وتقري الضيف وتعين على نوائب الحق .....» الحديث (١).

ويربط الكاتب بين هذا النوع من الوحي وبين ما كان يأتي للراهبة تريسا ، و أيضا لبولس (ص٧٠) وهو بهذا يضع الراهبة تريسا وبولس في نفس المكانة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وما أبعد الفرق بين الاثنين وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم . ولكن الكاتب على أي حال قد حدد لنفسه الطريق الذي سيسير عليه والطريقة التي سينتهجها في الكتابة عن محمد صلى الله عليه وسلم . إنه يصر على أن يجعل محمدًا صلى الله عليه وسلم من أهل التأملات الباطنية والخبرات الروحية الخاصة بحيث لا يبدو بينه وبين مثل هؤلاء الباطنيين أي فرق .

يقول الكاتب:« إن محمدًا قد رأى فيما بعد كائنًا ينادي عليه ويلقنه بعض الكلمات ، إلا أنه لم يعرفه في البداية لكنه بعد ذلك استطاع أن يحدده بجبريل ، وإن كانت هناك رواية تقول أنه كان إسرافيل ، وعلى أي حال فإن ما رآه محمد واعتقد أنه ملكًا قويًّا أرسله الله إليه ربما كان انبعاثًا من داخل نفسه هو ، وذلك على مثال تلك الكائنات الغامضة التي أشار إليها النصارى ، يعني الروح ، والكلمة أو النفخة الإلهية » .

ويقول أيضا : «إن الليلة التي رأى فيها محمد جبريل عليه السلام في الغار وسمع منه لأول مرة قول الله تعالى ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ(١)خَلَقَ الإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ...﴾ كانت ليلة السادس أو السابع والعشرين من شهر رمضان . تلك الليلة التي اعتبرت فيما بعد ليلة القدر أو التقدير ، التي ينزل فيها الله ، والتي جعلها المسلمون مناسبة دينية عظيمة يحتفلون بها كل عام» . (ص٧٣).

محمد ودعوى الخبرة الباطنية :

من الملاحظ أن مكسيم رودينسون لا يكف عن ترديد الزعم بأن محمدًا كان واحدًا من أهل الخبرة الباطنية والتخيل النفساني مثله مثل سائر الكهان . يقول في

---

(١) صفة الصفوة ، ج١ ص٢٧ .

تأكيد زعمه هذا:« لقد كان محمد يصرع ويصاب بتشنج عنيف يجعله يغيب عن الواقع بحيث يرى ويسمع أشياء لا يشعر بها الحاضرون معه ، وبعد عودة الوعي إليه كان يقول أنه رأى الملك ، وأن كلامًا أوحي به إليه ، هذا الكلام كان يصدر من داخل نفسه ، لا من مصدر خارجي عنه ، ولقد استطاع محمد فيما بعد أن يجمع هذا الكلام ويصوغه في عبارات ادعى أنها القرآن الذي جاءه من عند الله»(ص٧٥). ودعوى أن محمدًا كان مصابًا بداء الصرع دعوى قديمة تحمل كبرها أحيال من المستشرقين والحانقين على النبي صلى الله عليه وسلم، وترجع هذه الأسطورة في الأصل إلى الكتاب البيزنطيين والتي يرفضها المستشرقون في العصر الحديث والتي يعتبرها الفرد جلوم خطيئة وتحيز ضد المسلمين يقول في كتابه *إسلام*

A past generation of arabists, on the bases of this tradition (The opening of the prophets breast referred to in the Quran) and accounts of the symptoms of physical distress which sometimes accompanied his utterances, advanced the theory that Muhammad was an epileptic. The Charge had been made by a Byzantine writer long before, such a hypothesis seems gratuitous, and can safely be ascribed to anti-Muhammadan prejudice. Study of the psychological phenomena of religious experience makes it extremely improbable. Prophets are not normal people but that doesn't authorize the assertion that their abnormal behavior is due to a morbid condition. Moreover, Muhammad was a man who's common sense never failed him. Those who deny his mental and psychic stability do so only by ignoring the overwhelming of his shrewd appraisal of others and of the significance of what was going on in the world of his time, and his persistence in the face of consistent opposition until he united his people in the religion of Islam. Had he ever collapsed in the strain of battle or controversy, or fainted away when strong action was called for, a case might be made out. But all the evidence we have points in the opposite direction, and the suggestion of epilepsy is as ground less in the eyes of the present writer as it is offensive to all Muslims. It may be

added that most modern writers, as opposed to those of the last generation, are of this opinion. To base such a theory on a legend witch on the face of it has no historical foundation is a sin against historical criticism.(١)

إن رودينسون يفسر كل ما كان يعتري النبي صلى الله عليه وسلم من عوارض الوحي وما كان يتبعها من رد فعل على أنها (عوارض كهانة لا أمارات نبوة) (ص٧٧).

(١) Alfred Guillaume, Islam, (Great Britain, Pelican books. 1976) pp.25f.

ولا يمل الكاتب من تكرار دعوى تأثر محمد باليهودية والنصرانية إذ نراه يقول : «إن الكائن الذي كان يراه محمد ، وأن الكلام الذي كان يسمعه ، أو يتهيأه ، إنما كان صدى لما سمعه محمد من اليهود والنصارى وتأثر به» . وهو يعني أن الرسول صلى الله عليه وسلم كان قد اختزن هذه المعلومات ، التي سمعها من اليهود والنصارى، في عقله الباطن ثم أنضجها بحرارة حماسته وبتأملاته الباطنية وخبراته الروحية شأنه في ذلك شأن الكهان والروحيين . حتى أخرجها فيما بعد في هذا الشكل الأدبي المعروف الذي سماه «القرآن». ثم يتناول رودينسون نية أو قصد رسول الله صلى الله عليه وسلم من وراء دعوته فيشكك فيها، وهذا الموضوع سبق أن تناوله مونتجمري وات بشيء يسير من الإنصاف في محاولة منه لتخفيف حدة المنصرين في طعنهم في عمل محمد وقصده معًا .

فقال إن محمدًا كان مخلصًا ولكن إخلاصه لا يعني أنه كان مصيبًا فيما يقول كما ذكرناه بالتفصيل عند الكلام عن وات . يقول مكسيم رودينسون أن النصارى والمدافعين عن النصرانية ، واللاهوتيين تحديدًا الذين صوروا محمدًا على أنه كان دجالاً كذابًا وصاحب حيل ، استطاع من خلالها أن يؤثر على معاصريه ويخدعهم، وأن دعوته بالتالي زائفة ، لم يهاجموا محمدًا وحده وإنما هاجموا أيضًا كل مؤسسي الديانات في العالم أجمع (.ص٧٦). ولكنه من الملاحظ أن المنصرين والمستشرقين يكونون أكثر حدة وأقل حيدة عندما يتناولون محمدًا صلى الله عليه وسلم ودينه بالكلام. وينقل رودينسون عن المستشرق الألماني هيربرت جريم زعمه أن محمدًا عندما أراد أن يناصر الفقراء ويحسن أحوالهم فرض الضرائب الباهظة على الأغنياء ولكنه لم يستطع تحصيلها منهم لأنه لم يكن يملك القوة التي يحقق بها ذلك ، لذا فإنه قد لجأ إلى تخويفهم عن طريق اختراع مجموعة من الأساطير أو الأفكار الأسطورية كالتخويف من يوم الحساب، ومن النار والعذاب الأليم الذي ينتظر البخلاء والأشحاء إذا لم يزكوا أنفسهم ويطهروا قلوبهم بدفع الزكاة . إن الكاتب يُعَرِّضُ هنا شخصية النبي محمد صلى الله عليه وسلم مرة أخرى لتجارب وتحليلات علم النفس الغربي المادي فيقول: «إن علم النفس قد قرر أن بعض الناس تصدر عنهم أفعال غريبة وتتهيأ لهم رؤى خاصة ، ويتخيلون أصواتًا يسمعونها وكلمات يلتقطونها ، صادرة من منطقة اللاوعي أو العقل الباطن. حتى هؤلاء المصابين بداء الهلوسة ، يمكن أيضًا أن نحمل أقوالهم على الصدق أعني صدق النية فيما يشعرون به». ومحمد في نظر الكاتب من هذا الصنف من

الناس ، يعني أنه كان مخلصًا في التعبير عما يحس به ، ولكن كونه كان مخلصًا ليس معناه أن ما جاء به هو الحق ، وأنه كلام الله كما أشرنا إليه من قبل . إن محمدًا عنده مجرد صوفي ، فهو يضعه في نفس السياق مع صوفية النصارى ، القائلين بالاتحاد مع الله من خلال أعمال روجية معينة ، ومع صوفية الهنود القائلين بأن ما يحدث للصوفية إنما هو «خبرة فوق الوصف» خبرة مطلقة وغير شخصية ، وهي تمثل قاعدة الحقيقة الكاملة ، والتي يكتسبها صاحبها من خلال معرفة النفس . يقول جاردت: «إن هذه الخبرة ليست سوى الغموض والثراء اللا متناهي لكائن أو لمخلوق ما » (ص٨٠)، يشير الكاتب بعد ذلك إلى المتصوفة الحلوليين كالحسين بن منصور الحلاج (٢٤٤-٣٠٩ هـ) (٨٥٨ -٩٢٢م) الذي قال :

أنا من أهوى ومن أهوى أنا ... نحن روحان حللنا بدنا [1]

وهكذا يسوي هذا الكاتب بين البشر الخطائين ، والأنبياء المعصومين ، وسيدهم محمد صلى الله عليه وسلم ، ومن الواضح أنه يعتمد على مزاعم علماء النفس الملحدين في وصف شخصية الرسول صلى الله عليه وسلم وهؤلاء النفسانيون الغربيون يسوون بين أهل السلوك الباطني أو المتصوفة والمرضى النفسيين بشكل عام ، وقد عدوا محمدًا عليه الصلاة والسلام منهم ، مع فرق واحد وهو أن الباطني يكون قادرًا على التحكم في نفسه وعلى ضبط خبراته وتوجيهها لصالح تحقيق فلسفته الخاصة في الحياة ، وأيضًا فإنه تتوفر لدى هؤلاء الباطنيين القدرة على بناء نسق فكري منظم لخبراتهم ، ومحمد ـ كما يزعم الكاتب ـ بالرغم من نقاط ضعفه ، فإنه من وجهة النظر الصوفية أو السلوكية الباطنية ، يعد من هذا الصنف لأنه مثل الصوفية العظام قد جاهد كثيرًا من أجل ضبط نفسه وإخضاعها، وإن هذا المسلك الصوفي أو الباطني قد اكتسبه محمد كنتيجة لاحتكاكه برهبان النصارى (ص٨١). ولسنا ندري كيف توصل محمد صلى الله عليه وسلم إلى هذا كله، ومن هم يا ترى هؤلاء الرهبان الذين عاصرهم واحتك بهم وتعلم منهم واقتفى أثرهم . إن مكسيم رودينسون لم يقدم أدلة على دعواه وإنما طَرَّ ظنونيات وطبوليات أراد من خلالها أن يجرد الرسول صلى الله عليه وسلم من الوحي والعصمة والأصالة ومن حسن القصد.

يسيء نفس الكاتب كثيرًا إذ يزعم دون علم أو حس لغوي يمكنه من فهم لغة

---

(١) انظر ديوان الحلاج (القاهرة. مكتبة الكليات الأزهرية) ص٤٧ - ٤٨.

العرب ، أن الآيات والكلمات الأولى التي عزاها محمد إلى ربه ، جاءت ككلام الكهان مسجوعة ، ولقد كان تصرف محمد أثناء وبعد تلقي ما سماه وحيا يشبه أيضًا تصرف الكهان وسلوكهم ، فقد كان محمد ترتجف أعضاؤه ، ويتحدر عرقه ، وتتحرك شفتاه بعصبية، وكان إذا ذهب عنه الروع من أثر التلقي طلب دثارًا يتدثر به ، تمامًا كما كان يفعل الكهان والعرفاء في الجزيرة العربية ، ولسنا ندري أيضًا كيف توصل الكاتب إلى تلك المعلومات الخطيرة في وصف الكهان والعرفاء ، والاطلاع على أدق تفاصيل حياتهم وأعمالهم ؟ وما هي يا ترى تلك المماثلة أو المشابهة بين ما كان يصدر عن النبي صلى الله عليه وسلم ، والذي استأثر بالقلوب والعقول ، وبنيت على أساسه شريعة كاملة ، وأمة عظيمة ، وبين ما كان يصدر عن الكهان من كلمات لا معنى لها؛ تطير مع الهواء كالخفافيش ، لا تنفع ولا تدفع .

يزعم رودينسون أيضًا أن محمدًا صلى الله عليه وسلم كان رجلاً ثوريًا شأنه في ذلك شأن سائر الباطنيين ، وذلك لأنه وقف ضد معتقدات قومه بجرأة وبقوة و لم يهادنهم في شيء ، وذلك لقوة شخصيته ومتانة إيمانه بمبدئه . إن الكاتب الحائر يخلط هنا بين صفات العمالقة وصفات الأقزام ، فيخلع جهلاً على العملاق بعض صفات القزم وأهل الطبقة الدون من الناس ، ويخلع على القزم الفدم ، لصيق التراب صفات العملاق العظيم التي هو منها براء وليس لها بأهل .

مزاعم رودينسون حول القرآن :

بعد أن أثبت رودينسون بطريقته غير العلمية أن شخصية محمد هي نفس شخصية الكاهن، وأن سلوكه صلى الله عليه وسلم هو سلوكه ، انتقل بالهجوم إلى القرآن الكريم فزعم أنه من كلام محمد صلى الله عليه وسلم ، كما تكررت الإشارة إليه فيما سبق ، وزعم كذلك أن القرآن الكريم لم يكتب في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم. هذا بالرغم من كثرة الروايات التي تؤكد كلها أن القرآن كان مكتوبًا في عهده صلى الله عليه وسلم على ما تسنى من الرقاع والعسف والجريد والزرر وأوراق البردي والآباطي وغيرها، وذلك إلى جانب صدور الرجال والنساء والأطفال الذين كانوا يحفظونه، كله أو بعضه، بدرجات متفاوتة. وسجلوه من ثم في الفؤاد كما سجلوه بالمداد ثم جمع القرآن في عهد أبي بكر في الربعة وذلك بعد مرور عام واحد من وفاة

النبي عليه الصلاة والسلام ، ثم جمع القرآن في مصحف واحد على عهد أمير المؤمنين عثمان بن عفان رضي الله عنه ، بمشورة واتفاق جميع الصحابة رضوان الله عليهم. وهذا المصحف هو الذي يتداوله المسلمون إلي اليوم يقول نلدكه أن قبول الكافة لهذا المصحف: «يعد أقوى دليلاً على أن النص القرآني على أحسن صورة من الكمال والمطابقة» وهذا المصحف هو الوحيد المتداول بين المسلمين في شتى بلدان العالم الإسلامي بما فيها فرق الشيعة ، بل والفرق التي خرجت عن الإسلام مثل القاديانية والبهائية ، وذلك منذ أكثر من أربعة عشر قرناً من الزمان ، وبناء علي ذلك يقول لوبلو بحق «إن القرآن اليوم هو الكتاب الرباني الوحيد الذي ليس فيه أي تغيير يذكر» ويقول موير «إن المصحف الذي جمعه عثمان قد تواتر انتقاله من يد إلى يد بدون أي تحريف ،ولقد حفظ بعناية شديدة بحيث لم يطرأ أي تغيير يذكر بل نستطيع القول بأنه لم يطرأ عليه أي تغيير علي الإطلاق في النسخ التي لا حصر لها ، والمتداولة في البلاد الإسلامية الواسعة... فلم يوجد إلا قرآن واحد لجميع الفرق الإسلامية المتنازعة، وهذا الاستعمال الإجماعي لنفس النص المقبول من الجميع حتى اليوم يعد أكبر حجة ودليل علي صحة النص المنزل الموجود معنا»[1] .

يزعم الكاتب كذلك أن عثمان قد أمر بحرق باقي النسخ وإلزام جميع المسلمين بمصحفه وهذا خطأ كما أوضحناه بالدليل عند كلامنا عن جمع القرآن. يقول رودينسون :«وإنه بالرغم من وجود بعض الاختلافات في النص القرآني ، وعدم مراعاة ترتيب السور والآيات بحسب نزولها فإن المستشرقين قد سدوا هذا العجز فرتبوا المصحف بحسب النزول وكانوا أمهر من المسلمين في ذلك. ثم ظهرت بعض ترجمات للقرآن على أساس هذا الترتيب الاستشراقي ـ يعني ترتيب فلوجل ـ وعلى سبيل المثال تعتبر أحسن ترجمة فرنسية للقرآن بحق هي ترجمة بلاشير الفرنسية ، وترجمة ريتشارد بيل الإنجليزية» (ص ٨٥ ، ٨٤)، وينبغي هنا أن ننبه باختصار على أن القرآن كان محفوظًا ومبثوثًا في الآفاق قبل وبعد حكم الخليفة عثمان ، وكانت المصاحف كثيرة ومنتشرة في أيدي الناس ، عامتهم وخاصتهم ، وكانت الكتاتيب وحلقات تحفيظ القرآن في البلاد الإسلامية تعد بالآف ، وكان القرآن منذ حياة النبي صلى الله عليه وسلم نص واحد ولكنه كان يقرأ على عدة أوجه كلها منزل ومرخص فيه من الله

---

(١) انظر محمد عبدالله دراز مختصر مدخل إلى القرآن الكريم : ترجمة محمد عبدالعظيم على. القاهرة ، دار الدعوة ١٤١٧هـ، ١٩٩٦م، ص١٠-١٢.

ورسوله وهذا هو ما يعرف بالقراءات القرآنية أو الأحرف السبعة التي لا تعدو الاختلاف في شكل الكلمة القرآنية غالبًا[1]، هذا من جانب ، ومن جانب آخر فإن ترتيب السور وآيات القرآن توقيفي من فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وإلا كيف أمكن للمسلمين أن يصلوا بآياته وسوره ويشيروا إليه سورة وآية تحديدًا.

يستعرض رودينسون بعد ذلك بعض الآيات من القرآن مع التعليق عليها، وتدور كل اقتباساته القرآنية تقريبا على أوصاف الجنة والنار متسائلاً «من أين جاء محمد بهذه الصور الجميلة والتفاصيل الدقيقة في وصف العالم الآخر الذي رسمه بالكلمات ، هل جاء به نتيجة لتأثير الهلوسة عليه أو بسبب التياث عقله ؟ والذي كان شيئًا متوقعًا منه بحكم طبيعته وتكونيه، وذلك على منوال ما كان يحدث للشعراء والعرافين العرب، إنه لا يوجد لدينا أي برهان يرجح أيًا من الاحتمالين على الآخر !». ويجزم الكاتب بأن هذه الأوصاف الممتازة للقصور ولحياة الترف والنعيم كما ذكرت في القرآن ، لم يعرفها العرب قط، وإنما عرفتها الأمم المتحضرة فحسب» (ص٨٤-٩١).

لم يستطع الكاتب اليهودي الماركسي أن يقدم لنا تفسيرًا مقنعًا لمصدر الوصف القرآني لنعيم الدار الآخرة إذ أنه بدلاً من أن يسلم بأن مرد ذلك كله إلى الله وبأن القرآن هو من كلام الله ولا بد ، يزعم على العكس أن محمدًا قد انتحله من اليهود والنصارى، هكذا بلا دليل نقلي أو عقلي.

إن رودينسون يشكك في أصالة القرآن وفي أسلوبه ولغته إذ أنه يرد القرآن من حيث المحتوى إلى اليهودية والنصرانية ، وإلى القصص والحكايات العربية القديمة ، ويزعم بالإضافة إلى ذلك بأن الأسلوب والنظم القرآنيين كانا مسبوقين وليسا أصليين، وبالتالي فهما منتحلان كذلك من كتب اليهود والنصارى (ص ٩١).

أما الكاتبة الغربية كارن أرم استرونج Karen Armstrong فتختلف في هذا مع رودينسون حيث تقول : « لقد جاء محمد بالقرآن الذي فاق أو تجاوز كل الأنماط الأدبية التي عرفها العرب، حتى إن هؤلاء القرشيين الذين رفضوا الخضوع للإسلام قد تأثروا بالقرآن واضطربوا بسببه وذلك لأنه كما قلنا كان مخالفًا لمعهودهم في اللغة ولأنماطهم الأدبية المعروفة، إنه لم يكن مثل إلهامات كهانهم وشعرائهم، Inspiration of the Kahin or Poets ، ولا هو كرقى أو تصورات السحرة Incantation of magician،

---

(١) انظر السيوطي ، الإتقان ، ج١ ص١٣١ و ١٧٥ .

بل إن القرآن قد ملك على بعضهم عقولهم وقلوبهم، وقد أسلم كثير منهم بسبب تأثرهم بالقرآن، الذي لولاه لما كان الإسلام نفسه». ثم تقول نفس الكاتبة :« إنه بفضل القرآن قد استطاع محمد أن يحول العرب من الوثنية إلى التوحيد في مدى ثلاث وعشرين سنة هذا بينما أخذ الإسرائيليون القدامى حوالي السبعمائة سنة ليتخلصوا من محض الولاء للوثنية إلى الولاء لديانة التوحيد». (١)

وفي نفس القرينة يقول حول ديفيد في مقال له بعنوان توافقات واختلافات بين القصص الديني في التوراة والقرآن ، في المقارنة بين القصص الواردة في القرآن والواردة في التوراة « إن الجوهر فيها كلها واحد والاختلاف ـ بينها ـ ليس إلا في الشكل ، وفي تفاصيل طفيفة للغاية»(٢).

ويقول رودينسون إن المسلمين يعتقدون في كمال القرآن ، وإعجازه في نظمه ومعانيه، وأنه لا يمكن لبشر أن يحاكيه أو حتى يدانيه ، ولكنه يرفض هذا قائلاً «إنه في العصور الوسطى قد أبدى بعض المسلمين الأحرار استعدادهم لمحاكاته ، حتى أن واحدًا منهم قال متعجبًا! كيف يمكن للإنسان أن يفهم القرآن أو ينتقده ويمعن في فحصه لاكتشاف ما فيه من أخطاء ، في الوقت الذي تربى ونشأ على سماعه، وحفظه دائمًا واعتاد عليه وألفه، ورأى الناس من حوله يمجدونه ويرهبونه فضلاً عن محاولة محاكاته ، كيف لِلْعَين التي تعودت قراءته ، والأذن التي تعودت سماعه ، والعقل الذي حفظه منذ الصغر ، وشب معه ورافقه واعتاده طوال عمره أن يدرك ما فيه من خطأ، بل وكيف لمن أراد أن يحاكيه أن يجد من يقبل منه رأيه لهذا السبب» (ص٩٢).

انظر إلى هذا الغمز في كتاب الله ، ومحاولة الكاتب أن يستدرج القارئ المسلم لكي يتشكك في صحة القرآن ويتجرأ على الطعن فيه، وفي نفس الوقت فإنه يضلل القارئ الأوربي فيصرفه عن محاولة فهم القرآن فهمًا صحيحًا .

وعلى عكس ما يزعم رودينسون فإن معايشة القرآن والاهتمام به منذ الصغر يعتبر معجزة أخرى تضاف إلى معجزات القرآن الكثيرة ، وهي دليل دامغ آخر على حفظه الذي تكفل الله به فهيأ لاستظهاره القلوب. ومن المعلوم أن أحدًا لم يجبر أحدًا على حفظ القرآن، بل إن النفوس هي التي هفت وحنت إليه وسارعت إلى حفظه وفهم

---

(١) A History of God. Ballantine Books, New York, 1993, P.146.

(٢) انظر محمد عبدالله دراز ، مختصر مدخل إلى القرآن الكريم : ترجمة محمد عبدالعظيم علي (القاهرة : دار الدعوة ١٤١٧هـ - ١٩٩٦م) ص١٠-١٢ ، ٦٨.

معانيه والعمل بما فيه ، ولقد حفظه العربي والعجمي سواء بسواء وحفظه الكبار والصغار والرجال والنساء والأميون والمتعلمون؛ بل إن من إعجاز القرآن أن المسلمين كلما نظروا فيه أبصروا خيرًا يقود إلى خير ونورًا يهدي إلى نور ، والتقطوا منه دررًا وفرائد تغري دائمًا بطلب المزيد. إنهم لم يعموا بالنظر فيه وإنما أبصروا ، أبصروا معاني متجددة دائمًا ومتوالدة أبدًا ولذلك فهم لم يملوه ولم ينصرفوا عنه. غير أن رودينسون وضرباءه يأبون إلا أن يلزموا قارئ القرآن أن يقر بوجود أخطاء وأغاليط فيه ، وإلا فهو أعمى مستعبد للقرآن ، بحكم الإلف والعادة .

وأما قوله بأن بعض المسلمين ، الذين سماهم بالمفكرين الأحرار ، قد حاولوا تقليد القرآن ونجحوا في ذلك فألفوا ـ في زعمه ـ ما أطلق عليه معارضات القرآن فخطأ بين .

فأين يا ترى هي تلك الأعمال التي كتبها هؤلاء المعارضون حتى ندرسها ونقومها، وإننا لنتساءل هنا كيف لم يستطع أصحاب المعارضات المزعومة أن يفرضوا وجودها فتبقى على خط متوازٍ مع القرآن ؟. وإذا كان الكاتب يلمح بكلامه هذا إلى ما قيل عن ابن الراوندي الملحد الذي طعن في النبوة والتوحيد والمعجزات[1] ، أو ما قيل عن ابن المقفع أو أبي العلاء المعري أو غيرهم، فإنه أجمل القول لأن تفاصيله تظهر جهله وتعصبه .

نشير باختصار إلى ما قلناه في كتابنا القرآن الكريم من المنظور الاستشراقي ، أن كتب وأعمال ابن المقفع والمعري على سبيل المثال لا تزال بين أيدينا ، وهي لا تداني بلاغة وبيان القرآن ، ولا ترقى إلى أي وجه من وجوه المقارنة بالنسبة له.

ثم يقول رودينسون أن المستشرق الكبير ثيودور نولدكه قد كتب باستفاضة عن الأخطاء الأسلوبية في القرآن (ص ٩٣). فهل ياترى يمكن أن يكون نولدكه حجة على لغة القرآن وأسلوبه وأن تكون حجته في مجال الدراسات القرآنية فوق حجة علماء المسلمين القدامى منهم والمحدثين ، الذين اتفقت كلمتهم على سمو لغة القرآن وكمال إحكام أسلوبه ؟ ومن الأحكام التعسفية لهذا الكاتب أيضا حكمه بأن «محمدًا لم يكن في باله أن يؤلف كتابًا وذلك لأن خبرته الأولى ، يعني خبرته الروحية لم تبن على الكلام وإنما على الأعمال الباطنية والرياضة الروحية كالكهان». وهذا تشكيك آخر في القرآن ، وفي رسالته العالمية وفي الإسلام جملة ، وإننا لنتعجب كيف يصل العداء

---

(١) انظر أبو الحسين عبد الرحيم الخياط، كتاب الانتصار والرد على ابن الراوندي الملحد، مع مقدمة وتحقيق وتعليقات للدكتور نيبرج، (القاهرة - مكتبة الدار العربية للكتاب - ١٩٩٣م) ص١ وما بعدها .

والحقد بإنسان إلى هذا الحد من التعسف ويجعله يتجاهل التاريخ والمنطق، و يكابر ضد الحقيقة الباهرة ، والواقع الثابت .

دعوى أن القرآن شعر وأن محمدًا كان شاعرًا :

وفي رأي رودينسون أن محمدًا كان شاعرًا وأنه كتب الشعر بلا شك ، ولكنه لم ينشره على الناس وفضل أن ينتظر حتى يقوم بالرسالة ويكتب أفكاره وما حصله طوال حياته من هنا وهناك بطرق مختلفة ، كما يزعم أن الرسالة التي أعطيت لمحمد كتبت أولاً بالشعر ثم حولت فيما بعد إلى هذا اللون من الكتابة الذي نجده في القرآن.

إننا لا نعرف ولا يوجد دليل البتة على أنه صلى الله عليه وسلم كتب الشعر قط، أو أنه وضع نفسه في مصاف الشعراء أبدًا، أو وضعه أحد من معاصريه أو من غير معاصريه في عدادهم، هذا بالرغم من علو مكانة الشعراء ونفوذهم في بيئتهم .

والقرآن نفسه ينفي نفيًا قاطعًا أن يكون محمد شاعرًا يقول تعالى : ﴿وَمَا عَلَّمْنَاهُ الشِّعْرَ وَمَا يَنْبَغِي لَهُ إِنْ هُوَ إِلاَّ ذِكْرٌ وَقُرْءَانٌ مُبِينٌ﴾ (يس: ٦٩) ، ﴿وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ قَلِيلاً مَا تُؤْمِنُونَ﴾ (الحاقة: ٤١) .

يقول القاضي أبو بكر الباقلاني (ت ٤٠٣هـ) في التعليق على هذه الآيات : «وهذا يدل على أن ما حكاه (القرآن) عن الكفار من قولهم أنه شاعر، وإن هذا شعر لا بد من أن يكون محمولاً على أنهم نسبوه في القرآن إلى أن الذي أتاهم به هو من قبيل الشعر الذي يتعارفونه على الأعاريض المحصورة المألوفة. أو يكون محمولاً على ما كان يطلق الفلاسفة على حكمائهم، وأهل الفطنة منهم في وصفهم إياهم بالشعر؛ لدقة نظرهم في وجوه الكلام وطرق لهم في المنطق. وإن كان ذلك الباب خارجًا عما هو عند العرب شعر على الحقيقة . أو يكون محمولاً على أنه أطلق بعض الضعفاء منهم في معرفة أوزان الشعر. وهذا أبعد الاحتمالات.»[1]، ومعنى كلام الباقلاني أنه بالرغم من أن القرآن يختلف عن الشعر تمام الاختلاف فإن وصف الكفار للنبي صلى الله عليه وسلم يحمل على ثلاثة وجوه :

١- إما أنهم فهموا أن القرآن لا يمكن أن يقاس إلا بالشعر الذي يعرفونه ويألفونه.

٢- وإما أنهم سموا النبي بالشاعر وأرادوا به معنى الحكيم كما كان الفلاسفة

(١) إعجاز القرآن، تحقيق عماد الدين أحمد صدر، بيروت، ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦م، ص٧٦ - ٧٨ .

يطلقون على حكمائهم وأهل الفطنة منهم شعراء ، لما تميزوا به من دقة النظر وثقابة العقل.

٣- وإما أن يكون هذا الوصف قاله بعض الضعاف منهم ممن لا يستطيعون أن يميزوا بين الشعر والنثر.

فإذا كان العرب قد عنوا بتسميتهم القرآن شعرًا على جهة وصفه بالسمو والحكمة كان إطلاقهم صحيحًا من هذه الجهة ،لأن ذلك كان غاية جهدهم ومبلغ علمهم في تقدير عظمة القرآن وسموه. أما التسوية الكاملة بين القرآن والشعر وبين النبي والشاعر فإنها مرفوضة بنص القرآن الكريم، ولزيادة الإيضاح نقول : إن العرب الذين وصفوا الرسول بالشعر إنما فعلوا ذلك لما كانوا يعتقدون من أن الشاعر يفطن لما لا يفطن له غيره، وأنه إذا قدر على صنعة الشعر كان على ما دونه أقدر وأمهر. فنسبوا رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الشعر لهذا السبب، وإنما كان مقصودهم هو الاعتراف على طريقتهم بالقيمة الأدبية للقرآن، فهم وإن كانوا أصابوا من جهة فقد أخطأوا من جهات ، وربما كان لهم العذر في ذلك إذ لم يكن لديهم إلا هذا المعيار النقدي ولا عندهم أسمى من الشعر منزلة. ومما يجدر معرفته أن هؤلاء الذين وصفوا الرسول صلى الله عليه وسلم بأنه شاعر والقرآن بأنه شعر كانوا يدركون تمامًا الفرق الواضح والكبير بين الشعر والقرآن وبين الرسول صلى الله عليه وسلم والشاعر كما اعترف به الوليد بن المغيرة كما مر بنا .

ولو كان القرآن شعرًا لسهل عليهم أن يحاكوه أو أن يأتوا بمثله فقد كانوا من أمهر الأمم في الشعر إبداعًا وتذوقًا ، ورواية ورعاية ، لكنهم لم يفعلوا ذلك ولا حاولوه. ثم إنه بعد أن انتهى الصراع بينهم وبين الرسول صلى الله عليه وسلم، وبعد أن انتصر الإسلام وساد في أنحاء الجزيرة العربية لم تظهر مثل هذه الدعوى قط، بل لقد تحول الجميع بما فيهم الشعراء والكهان إلى القرآن فحفظوه وجودوه ودرسوه ، وعملوا بأحكامه ، وأذعنوا لبلاغته ، وصار الشعر من ثم في درجة متأخرة بالنسبة للقرآن بعد أن كان هو المقدم عند العرب.

وأما ما ادعاه بعض المتنطعين من أن القرآن يحتوي على بعض الأشعار، أي الكلام الموزون المقفى فإن ما أشاروا إليه هم أنفسهم من البيت أو البيتين لا يصلح أن يكون دليلاً علي دعوى أن القرآن شعر ، لا من حيث التركيب ولا من حيث الأسلوب والغرض . وعلى سبيل المثال جاء قول القائل :

قد قلت لما حاولوا سلوتي هيهات هيهات لما توعدون

زعموا أن الآية (٣٦) من سورة المؤمنون جاءت بهذا الشكل شطرة من بيت.

ومما يزعمون أنه شعر قوله تعالى : ﴿وَجِفَانٍ كَالْجَوَابِ وَقُدُورٍ رَاسِيَاتٍ﴾ (سبأ: ١٣)، قالوا هو من بحر الرمل وهو من الوزن الذي جاء عليه هذا البيت.

ساكن الريح نطوف الـ مزن منحل العـــزالي

كما عدوا منه قوله تعالى : ﴿وَمَنْ تَزَكَّى فَإِنَّمَا يَتَزَكَّى لِنَفْسِهِ﴾ (فاطر: ١٨)، قالوا هو من بحر الخفيف ومنه قول الشاعر :

كل يـــوم بشمسـه وغـد مثل أمسه

وكقولـه تعالى : ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّـهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا(٢)وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾ (الطلاق: ٢ -٣) قالوا هو من المتقارب، وقوله تعالى : ﴿وَدَانِيَةً عَلَيْهِمْ ظِلَالُهَا وَذُلِّلَتْ قُطُوفُهَا تَذْلِيلًا﴾ (الإنسان: ١٤)، قالوا إنه بإشباع حركة الميم في ﴿عَلَيْهِمْ﴾ وهي الضمة يكون من بحر الرجز، وأوردوا عن أبي نواس(ت ١٩٩ هـ) أنه ضمن ذلك في شعر له على هذا النحو :

وفتية في مجلس وجوههم ريحانهم قد عدموا التثقيل

دانية عليهم ظلالـــــها وذللت قطوفها تذليـــلا

على أن هذين البيتين ليسا في ديوان أبي نواس، لكنه يوجد من شعره من هذا النوع ومنه :

وقرأ معلنا ليصـــدع قلبي والهوى يصدع الفؤاد السقيم

أرأيت الذي يكذب بالديـن فذلك الذي يدع اليتيـــم[1]

فإنه قد ضمنه آيات سورة الماعون (١ - ٣).

كما عدوا من ذلك قوله تعالى:﴿وَالذَّارِيَاتِ ذَرْوًا(١)فَالْحَامِلَاتِ وِقْرًا(٢) فَالْجَارِيَاتِ يُسْرًا﴾ (الذاريات ١ - ٣) من موزون بحر البسيط .

وقد نوهنا من قبل أن وجود مثل هذا الكلام الموزون لا يعني أن القرآن شعر ، إذ لو أننا أخذنا بهذا المنطق لوجدنا من كلام الناس الكثير من هذا النوع مما لم يقصد أصحابه أن يقولوا شعرًا.

---

(١) الباقلاني ، إعجاز القرآن (ص٧٧) وأبو نواس ، ديوان ، بيروت ، دار صادر) ص٥٥٩.

إن «البيت الواحد» كما يقول الباقلاني: «وما كان على وزنه لا يكون شعرًا»، فأقل الشعر بيتان فصاعدًا.

وقالوا أيضًا إن ما كان على وزن بيتين، إلا أنه يختلف رويهما وقافيتهما فليس بشعر. ثم منهم من قال إن الرجز ليس شعرًا أصلاً، لا سيما إذا كان مشطورًا أو منهوكًا. وكذلك ما كان يقارنه في قلة الأجزاء. وبهذا يبطل الاحتجاج على كون القرآن شعرًا لمجرد وجود مثل هذه الفقر المتفقة فيه .

طعن رودينسون في عقيدة الألوهية في الإسلام :

الاسلام هو دين التوحيد الخالص ، والتنزيه المطلق للذات الإلهية ، فلا تشبيه ولا تجسيد ولا تحديد ، ولا تكييف بجائز على الله تعالى أبدًا، وهذا هو ما يتميز به الإسلام من بين الأديان جميعا. ومن العجيب أن يزعم رودينسون بأن إله المسلمين لم يمانع في بداية الدعوة الإسلامية أن يعترف بوجود آلهة أخرى لها تأثيرها في الكون ، وأن محمدًا، كان يدرك ذلك بدليل قوله فيما بعد ، وعندما شن الحرب على أهل مكة ، «الله أكبر» يعني بذلك أن الله أكبر من الآلهة الأخرى (ص ٩٧) . ونفس الكلام قرأناه في مقال على شبكة المعلومات يهاجم فيه صاحبه الإسلام بلا حياء، ويتهم فيه المسلمين بعبادة القمر .

ويزعم رودينسون كذلك أن محمداً قد وصل إلى فكرة الإله الواحد من خلال احتكاكه باليهود والنصارى ، ويقول إن الأفكار التي أراد محمد أن يقدمها في هذا الصدد ليست أصيلة في نفسها وإنما هي منتحلة وملفقة من هنا وهناك ، ولكنها على أي حال تصلح كمادة لرواية تقوم في عرضها على طريقة حد شخصية . لقد اختزل هذا الكاتب اليهودي الإسلام والرسول صلي الله عليه وسلم في مجرد رواية شخصية خاصة بمحمد وهذه في نظرنا قلة مبالاة بالحقائق الدينية وبالحقائق التاريخية وقواعد المنهج العلمي معًا ، هذا فضلاً عن مصادمة هذه الدعوى الفارغة لمشاعر المسلمين ، ومشاعر المنصفين من غير المسلمين. وهو بهذا يخادع نفسه بتصويره للإسلام على هذا النحو الضيق الذي يتنافى مع عمق وسعة وعالمية الإسلام ، وعظمة رسوله صلى الله عليه وسلم . وفي نفس الاتجاه يقول رودينسون أنه بالرغم من أن محمدًا قد استعار أفكاره الدينية من اليهود والنصارى وصبها في قوالب تتناسب مع الذوق العربي ، ومع

المعتقدات العربيـة ، فإنـه اعتقد أن الوحود أو الملكـوت من وراء الحـاضر المشـهود قد أعلن له عن نفسه . فمحمد إذا لم يفعل شيئًا ، من وجهة نظر رودينسون ، أكثر من تقديم التعاليم اليهوديـة والنصرانية التي تعلمها من اليهود والنصارى ، مشفوعة بدعوى الاتصال بعالم الغيب .(ص. ٩٧ وما بعدها).

هذا منطق معكـوس وفكر رجل لا يرى في الدنيـا غـير نفسـه ، ولا يـرى لله عبادًا مبدعين ، أو رسـلاً مبلغين أو مصلحين عظمـاء إلا من بـين من يعرفهم . إنـه لم يثبت بطريق العقل أو النقل الصحيـح أن محمدًا قد أخذ من اليهـود والنصارى ، كمـا ذكرنا مـن قبـل ،وكـل مـا قدمـه الكـاتب في هـذا الصدد ، لا يعـدو أن يكـون افتراضـات ووهميات وطبوليات وشنشـنة غربية يهوديـة ، إنه لم يثبت وقوع الانتحال أصلاً حتى يقـول إن محمدًا صاغه صياغـة عربية ملائمـة لذوق قومه ؛ مـع أن رودينسون قد ادعى فيما سبق أن محمدًا قد اسـتعار فيما اسـتعار أيضًا الشكل والأسـلوب الأدبيين للقرآن الكريـم من اليهود والنصارى ، ولكنه يتناقض هنا فيقول أنـه صلى الله عليه وسلم قد قـام بتطويع وتكييف مـا اقتبسـه من هـذه المصادر حتـى تلائم التذوق الأدبي للعرب . وهل من المعقول أن نقول إن الإسـلام ، وأساسـه ومصدره القرآن، لم يرض إلا الذوق العربي ؟و مـاذا عن الـذوق الفارسـي والذوق الهنـدي والرومـاني ، والإندونيسـي ، والماليزي ، والإفريقي ، والأسيوي بشكل عام ، لقد وجد أهل هذه البلاد في القرآن ما لم يجدوه في لغـاتهم الأم ، ولا في آدابهـم وعلومهم الأولى ولقد حفظـت الملايين منهم القرآن عن ظهر قلب ومهروا في علومه و معارفه، ولايزالون يحفظونه.

مزاعم رودينسون حول الصحابة.

لم يسلم صحابـة رسول الله صلى الله عليه وسـلم من طعن رودينسون وافتراءاته . فقـد أشار إلى السـيدة الطاهرة خديجـة رضوان الله عليهـا التي زعم أنها كـانت تسيطر على محمد وتسـتذله بمالها. وإلى علي بن أبـي طالب رضي الله عنـه الذي ربي في بيت النبي ، وإلى زيد بن حارثة رضي الله عنه مدعيًـا أنه هو الذي علم النبي صلى الله عليه وسلم الديانة النصرانية إلى حد كبير والتي كانت شائعة في قبيلته «كلب» (ص ٩٩).

وأن عثمان بن عفان رضي الله عنه لم يعتنق الإسلام إلا بسبب حبه لرقية بنت خير المصطفين. وأن أبا بكر وعمر كانا يؤثـران على محمد صلى الله عليه وسلم تأثيرًا كبيرًا

لأنه كان متزوجًا من ابنتيهما السيدة عائشة، والسيدة حفصة رضوان الله عليهما. وإن أبا بكر كان من عبدة الأبطال وأن طبيعته كانت تشبه طبيعة النساء إلى حد كبير ولذلك فإنه كان ينقاد لمحمد انقياداً أعمى (ص ٩٩). ويضيف رودينسون قائلاً إن أصحاب محمد الأوائل كانوا من ذوي الفكر الحر، ومن المتطلعين إلى الثقافة الأجنبية، بتعبير عصرنا الحديث، لذلك سهل عليهم أن يتركوا دينهم القديم ويتبعوا محمدًا (صلى الله عليه وسلم) الذي جاء إليهم بعلوم وثقافة من الخارج. وصبها لهم في قوالب لغتهم (ص. ١٠٢) كيف يجوز مثل هذا الكلام وكيف يصدر عن كاتب غربي يفترض فيه أنه يعرف أصول الكتابة العلمية ؟ إنه لم يقدم دليلاً واحدًا مباشرًا أو حتى غير مباشر على صحة دعاواه العريضة. إنه على العكس مما يصوره رودينسون فإن هؤلاء المسلمين الأوائل كانوا من أبناء البيئة العربية، ومن المتأثرين بها شأنهم شأن غيرهم من العرب بصفة عامة، ولم يكن تحولهم من الوثنية والشرك إلى الإسلام، ديانة التوحيد، بهذه السهولة التي يحاول أن يصورها رودينسون. لقد بذل الرسول صلى الله عليه وسلم جهدًا مضنيًا وتحمل أذىً شديدًا في سبيل إقناع المشركين بدعوته، وإدخالهم في دين الله، حتى اهتدوا فأبصروا النور الذي جاء به محمد واعتنقوه وعشقوه واقتدوه بأرواحهم، ولم يثبت أن واحدًا منهم كان قد أعلن تمرده على دين قومه أو على تقاليدهم وعاداتهم الدينية أو الاجتماعية قبل مبعث النبي صلى الله عليه وسلم.

أقوال الصحابة وعلماء الأمة في رسول الله وفي القرآن:

في هذا الموضع نتحدث عن بعض صحابة النبي وبعض زوجاته صلى الله عليه وسلم الذين تعرض لهم رودينسون بالطعن والتجريح، وشكك في موقف بعضهم من الرسول ومن القرآن.

كان القرآن منذ نزوله على رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا يزال إلى اليوم وحتى قيام الساعة هو النور المبين الذي أضاء حياة الناس وملأ قلوبهم بالإيمان وبحب الفضائل ومكارم الأخلاق، لقد شغل القرآن المسلمين منذ أن كانوا جماعة صغيرة العدد حتى صاروا أمة عظيمة واسعة الانتشار والتأثير. ولكي نبرز هنا تأثير القرآن العظيم على المسلمين ومدى عنايتهم به نعرض هنا بعض أقوال الصحابة وعلماء الأمة

في القرآن الكريم ، وفي رسول الله صلى الله عليه وسلم . كانت بيوت النبي صلى الله عليه وسلم مضاءة بمصابيح الوحي، مزدانة بأزاهير التنزيل تزينها رياض القرآن . قال الله تعالى لنسائه صلى الله عليه وسلم ﴿وَاذْكُرْنَ مَا يُتْلَى فِي بُيُوتِكُنَّ مِنْ ءَايَاتِ اللَّهِ وَالْحِكْمَةِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ لَطِيفًا خَبِيرًا﴾ الأحزاب (٣٤). وكتاب الله هو القرآن، والحكمة هي السنة وهي المبينة للقرآن والمفسرة له، وهي المصدر الثاني للتشريع الإسلامي .

كانت السيدة خديجة رضي الله عنها هي أول من آمن برسول الله وأول من سمع القرآن من فمه صلى الله عليه وسلم. وعندما سمعت منه القرآن أيقنت على الفور بأنه لا يمكن أن يكون هذا الكلام من كلام الجان أو الشيطان ، قالت لرسول الله صلى الله عليه وسلم عندما قال لها بعد عودته من غار حراء «خشيت على نفسي» «كلا أبشر فو الله لا يخذيك الله أبدًا ، إنك لتصل الرحم ، وتصدق الحديث ، وتحمل الكل (الضعيف) ، وتقرى (تكرم) الضيف ، وتعين على نوائب الحق»[1]، وبهذا فقد وضعت السيدة الطاهرة معيارًا لا يختلف عليه للتمييز بين كلام الله وكلام البشر، وبين آثار كلام الله في النفس وبين وسوسة الشيطان وأثرها في القلب.

كانت السيدة خديجة أسن من رسول الله صلى الله عليه وسلم إذ كانت عند زواجها منه بنت أربعين سنة أو نحوها ، ولذلك فقد كان دورها يتجلى في الرعاية التامة لرسول الله صلى الله عليه وسلم، وفي المساندة الأدبية والروحية له عليه السلام وكما هو واضح من حديثها فإنها كانت امرأة ذكية وقوية الشخصية ، لها مهارة في تفسير الظواهر والمواقف ، وتوضيح الغامض من الأمور وفي هذا دليل على فقهها في معرفة النفوس، ومعرفتها القوية كذلك بالصلة بين مكارم الأخلاق ووحي الخلاق تبارك وتعالى.

جاء في الصحيحين عن علي رضي الله عنه:«خير نسائها مريم بنت عمران، وخير نسائها خديجة عليها السلام» وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : «أتى جبريل النبي صلى الله عليه وسلم فقال : يا رسول الله هذه خديجة أتتك بإناء فيه إدام أو طعام أو شراب، فإذا هي أتتك فاقرأ عليها السلام من ربها ومني، وبشرها ببيت في الجنة، من

---

(١) ابن كثير ، مختصر تفسير، ج٣ ص٦٥٦ وأبو عبدالرحمن ابن الجوزي، صفة الصفوة ، الاسكندرية، دار ابن خلدون، ج١ ص٢٥٦ و ٢٥٧، وابن حجر العسقلاني ، ج٤ ص٢٨١.

قصب، لا صخب فيه ولا نصب».

أما السيدة عائشة ، الصديقة بنت الصديق فكانت صغيرة في السن قوية فتية زكية وذكية، زوجها الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم في هذه السن لتكون أقدر على حفظ كلام الله وأحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى قوة الملاحظة والضبط، وأن تكون سندًا له صلى الله عليه وسلم وعونًا ، وهي في أوج شبابها وذروة نشاطها البدني والعقلي والنفسي والروحي. كانت السيدة عائشة رضي الله عنها حافظة فقيهة وراوية واعية وخبيرة بأنساب العرب وأشعارها ورحلة في مواقفها إذ كانت توصف برحلة النساء . رأت جبريل الأمين عليه السلام أكثر من مرة، ونزل بالوحي على رسول الله صلى الله عليه وسلم بحضرتها وأقرأها جبريل عليه السلام كما أقرأ خديجة السلام، وردت عليه السلام وقالت:«جزاه الله -أي جبريل- من صاحب ودخيل - ضيف- خيرًا فنعم الصاحب ونعم الدخيل». وكانت السيدة عائشة رضي الله عنها أول من ربطت بين القرآن وبين أخلاق رسول الله صلى الله عليه وسلم إذ قالت وقد صار قولها سيد الأمثال ، لما سئلت عن خلق رسول الله: «كان خلقه القرآن»[1] .

أنزل الله في براءتها من فرية المنافقين قرآنًا يتلى إلى يوم الدين ، جاء عنها رضي الله عنها وفى بداية محنتها قالت لأمها : (... وأنا جارية حديثة ، السن لا أقرأ كثيرًا من القرآن بلى إني والله قد عرفت أنكم قد سمعتم بهذا (أي حديث الإفك) حتى استقر في أنفسكم وصدقتم به، ولئن قلت لكم إني بريئة ، والله عز وجل يعلم أني بريئة ، لا تصدقوني، وإن اعترفت لكم بأمر والله يعلم أني منه بريئة تصدقوني ،وإني والله لا أجد لكم مثلاً إلا كما قال أبو يوسف ﴿فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ﴾ .

قالت ثم تحولت فاضطجعت على فراشي، قالت وأنا والله أعلم حينئذ أني بريئة، وأن الله عز وجل مبرئي ببرائتي، ولكن والله ما كنت أظن أن ينزل في شأني وحي يتلى، ولشأني كان أحقر في نفسي من أن يتكلم الله عز وجل فيَّ بأمر يتلى، ولكن كنت أرجو أن يرى رسول الله صلى الله عليه وسلم في النوم رؤيا يبرئني الله عز وجل بها.

قالت : فوالله ما رام رسول الله صلى الله عليه وسلم مجلسه ولا خرج من أهل

البيت أحد حتى أنزل الله على نبيه، فأخذه ما كان يأخذه من البرحاء عند الوحي، حتى إنه ليتحدر منه مثل الجمان من العرق في شات من ثقل القول الذي أنزل عليه. قالت : فسرى، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يضحك فكان أول كلمة تكلم بها أن قال : «أبشري ياعائشة ، أما الله عز وجل قد برأك ... فأنزل الله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالإِفْكِ عُصْبَةٌ مِنْكُمْ﴾. قالت : فقالت لي أمي : قومي إليه ، فقلت: والله لا أقوم إليه ، ولا أحمد إلا الله عز وجل ، هو الذي أنزل براءتي ، وأنزل الله عز وجل : ﴿إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالإِفْكِ عُصْبَةٌ مِنْكُمْ﴾ العشر الآيات كلها.. فأنزل الله تعالى هذه الآيات ببراءتي»[1] .

عن عروة عن أبيه أن عائشة - رضي الله عنها - كانت تسرد الصوم وعن القاسم قال كنت إذا غدوت أبدأ ببيت عائشة أسلم عليها فغدوت يومًا فإذا هي قائمة تسبح وتقرأ : ﴿فَمَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا وَوَقَانَا عَذَابَ السَّمُومِ﴾(الطور٢٧) وتدعو وتبكي وترددها، فقمت حتى مللت القيام، فذهبت إلى السوق لحاجتي ثم رجعت فإذا هي قائمة تصلي وتبكي .

قال مسروق عن عائشة عن فاطمة عليهما السلام : «أسر إلي النبي صلى الله عليه وسلم أن جبريل يعارضني بالقرآن كل سنة ، وإنه عارضني العام مرتين ، لا أراه إلا حضر أجلي» رواه البخاري.

وروى الزهري عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : (كان النبي صلى الله عليه وسلم أجود الناس بالخير، وكان أجود ما يكون في شهر رمضان لأن جبريل كان يلقاه في كل ليلة في شهر رمضان حتى ينسلخ يعرض عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم القرآن فإذا لقيه جبريل كان أجود بالخير من الريح المرسلة). البخاري . ومعنى يعرض عليه القرآن أي يقرؤه عليه ويدارسه إياه. وعن أبي هريرة قال : (كان يعرض على النبي صلى الله عليه وسلم القرآن كل عام مرة فعرض عليه مرتين في العام الذي قبض، وكان يعتكف كل عام عشرًا، فاعتكف عشرين في العام الذي قبض) البخاري .

وما هذا الحرص إلا لشدة العناية بالقرآن وتأكيد سلامته من أي لبس أو احتمال تحريف بزيادة أو نقصان ، فالرسول صلى الله عليه وسلم كان يراجعه مع جبريل طوال شهر رمضان كل عام وفي العام الذي توفي فيه صلى الله عليه وسلم راجعه مع

---

(١) ابن كثير ، مختصر تفسير، ج٢ ص٥٨٧ - ٥٨٨، وابن الجوزي ، صفة الصفوة، ج١ ص٢٦٢-٢٦٥.

جبريل مرتين، وأكد هذا المعنى اعتكافه صلى الله عليه وسلم عشرين يومًا بدلاً من عشرة أيام ، كان شغله فيها صلى الله عليه وسلم العبادة وقراءة القرآن ،وفي هذا أيضًا مزيد عناية بالقرآن وحياطة له لا تترك للشك مجالا ،

ولا للريبة منفذًا وصدق الله تعالى إذ يقول : ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ (الحجر٩). هكذا بهذه التأكيدات اللفظية الإعجازية التي تتحلى في إنا، ونحن ،ونا في نزلنا، وله ،وإعادة إنا وإدخال اللام على﴿حَافِظُونَ﴾ .

عن أبي موسى الأشعري قال : (ما أشكل علينا أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم حديث قط فسألنا عائشة عنه إلا وجدنا عندها منه علمًا) وعن مسروق قال : «نحلف بالله لقد رأينا الأكابر من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يسألون عائشة عن الفرائض» .

وعن عروة عن أبيه قال : (ما رأيت أحدًا من الناس أعلم بالقرآن ولا بفريضة، ولا بحلال، ولا بحرام ، ولا بشعر، ولا بحديث العرب، ولا بنسب من عائشة رضي الله عنها) وكان فقه عائشة موضع إعجاب الصحابة . قال الزهري رضي الله عنه : (لو جمع علم عائشة إلى علم جميع أزواج النبي صلى الله عليه وسلم وجميع النساء كان علم عائشة رضي الله عنها أكثر)[1] .

وقد انعقدت الثقة في أم المؤمنين حفصة بنت الفاروق عمر حيث وضعت عندها الربعة أي الصحف التي جمع فيها القرآن على عهد أبي بكر، جاء في حديث جمع القرآن الذي ذكره البخاري عن عبيد بن السباق (أن زيد بن ثابت رضي الله عنه قال أرسل إلى أبي بكر الصديق مقتل أهل اليمامة فإذا عمر بن الخطاب عنده ... فكانت الصحف عنده حتى توفاه الله ، ثم عند عمر حياته ، ثم عند حفصة بنت عمر رضي الله عنها)[2].

كان الصحابة رضوان الله عليهم أول من سمعوا القرآن منه صلى الله عليه وسلم وتلقوه عنه.وتذاكروه وتدبروه ، وكان منهم كتاب الوحي ، ومن قاموا بجمع القرآن، وكان منهم من اشتغل بتفسيره ، ومنهم من كان يقوم على تعليمه للعرب ولغير العرب في الآفاق التي فتحها الله على المسلمين ، وقد حفظ القرآن كله في حياة النبي صلى

---

(١)صفة الصفوة ، ص٢٦٦ - ٢٦٧.

(٢) نفس المصدر. ص٢٦٩ .

الله عليه وسلم جمع غفير من الصحابة وعنوا به أيما عناية ، وحفظه من النساء ، أم ورقة بنت عبد الله بن الحارث التي كان النبي صلى الله عليه وسلم يزورها ويسميها الشهيدة. وأذن لها أن تؤم أهل بيتها في الصلاة. وقد قتلت أيام عمر بن الخطاب رضي الله عنه فصدقت فيها نبوءة النبي صلى الله عليه وسلم (١).

وهذه مولاة رسول الله صلى الله عليه وسلم وحاضنته أم أيمن واسمها بركة هاجرت على قدميها في الحر الشديد وهي صائمة . وقد بكت عندما رأت أبا بكر وعمر وقد ذهبا لزيارتها ، فلما سألاها ما يبكيك ؟ قالت ما أبكي إني لأعلم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد صار إلى خير مما كان فيه ولكن أبكى لخبر السماء انقطع عنا، فهيجتهما على البكاء فجعلا يبكيان معها.قال الواقدي حضرت أم أيمن أحدًا وكانت تسقي الماء، وتداوي الجرحى، وشهدت رضي الله عنها خيبر، وتوفيت في آخر خلافة عثمان رضى الله عنه (٢).

هؤلاء هم أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وتلامذته صبروا على الأذى معه، وآمنوا به واتبعوه . لم تفتنهم المحن ، و لم تتخطفهم من الإسلام الشواغل والمغريات، ولا الأهل والولدان . هاجروا معه وتركوا كل شيء في سبيل الله وسبيله ، وفروا بدينهم من سلطان دنياهم ، وبنوا معه الدولة التي بها دالت دول الكفر والشرك والظلم والقهر . ثم بنوا معه الأمة التي كانوا هم أعظم لبناتها وأفخم رواتها ، وحسموا أسباب الفرقة والاختلاف بعد وفاته صلى الله عليه وسلم ، وعقدوا البيعة قبل أن تتسع الجروح وتزداد الفتوق ويتمزق نسيج الأمة ، ثم حاربوا بفضل إيمانهم وإخلاصهم المرتدين فخاضوا معهم حربًا ضارية حتى قمعوهم وردوهم فكانوا عبرة وزجرة لكل خصوم الإسلام. ثم جمعوا القرآن ووحدوا نسخه ونشروه في الآفاق وفتحوا بجده وفرنده البلاد، وغمروا بنوره ورحمته العباد.

وهنا نجد من الضروري أن نسلط مزيدًا من الضوء على بعض كبار الصحابة الذين تعرض لهم رودينسون بالنقد في قرينة جمع القرآن ، وشكك في طبيعة علاقتهم برسول الله صلى الله عليه وسلم .

---

(١) نفس المصدر ، ص٢٨٦ .
(٢) نفس المصدر ، ٢٧٧ .

أبو بكر الصديق :

أبو بكر الصديق هو الصديق الأقرب إلى قلب المصطفى صلى الله عليه وسلم ، وأول من آمن به من الرجال ، وصدق بخبر الإسراء والمعراج فتمكن بذلك من مقعد الصديقية ، وضحى بماله وراحته ومكانته في سبيل حبيبه رسول الله صلى الله عليه وسلم، ثاني اثنين إذ هما في الغار، رفيق الهجرة، قدمه رسوله الله صلى الله عليه وسلم للصلاة فرضيه المسلمون لدينهم ثم ارتضوه بعد ذلك إمامًا وخليفة لشئون دينهم ودنياهم . عن الحسن قال : قال علي - رضي الله عنه - : «لما قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم ، نظرنا في أمرنا فوجدنا النبي صلى الله عليه وسلم قد قدم أبا بكر في الصلاة، فرضينا لدنيانا من رضي رسول الله صلى الله عليه وسلم لديننا»(١). وقد نزل في فضل أبي بكر قرآن وشهدت بعظمة خلائقه وحسن صحبته السنة ، ومن خطبه رضي الله عنه : (أما بعد أيها الناس ، قد وليت أمركم ولست بخيركم، ولكن قد نزل القرآن وسن النبي صلى الله عليه وسلم السنن فعلمنا. اعلموا أن أكيس الكيس التقوى، وأن أحمق الحمق الفجور، إن أقواكم عندي الضعيف حتى آخذ له بحقه، وإن أضعفكم عندي القوي حتى آخذ منه الحق ، أيها الناس إنما أنا متبع ولست بمبتدع ، فإن أحسنت فأعينوني وإن زغت فقوموني).

ومن خطبة أخرى له (أما بعد فإني وليت هذا الأمر وأنا له كاره ، والله لوددت أن بعضكم كفانيه ، ألا وإنكم ان كلفتموني أن أعمل فيكم (مثل) عمل رسول الله صلى الله عليه وسلم لم أقم به. كان رسول الله صلى الله عليه وسلم عبدًا أكرمه الله بالوحي وعصمه به، ألا وإنما أنا بشر ولست بخير من أحد منكم فراعوني ، فإذا رأيتموني استقمت فاتبعوني ، واذا رأيتموني زغت فقوموني....)

ومن خطبة أخرى له يقول : « ... اعلموا عباد الله أن الله قد ارتهن بحقه أنفسكم، وأخذ على ذلك مواثيقكم، واشترى منكم القليل الفاني بالكثير الباقي، وهذا كتاب الله فيكم لا تفنى عجائبه، ولا يطفأ نوره، فصدقوا قوله، وانتصحوا كتابه واستفيئوا منه ليوم القيامة ... »(٢) .

لقد كان أبو بكر رجلاً قرآنيًا بكل طاقته وقامته وسيرته كان هو أول من جمع القرآن، وأخمد فتنة الردة، وأمضى بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم .

---

(١) ابن الجوزي، صفة الصفوة، ج١ ص٧٩، ابن حجر ، الإصابة ، رقم ٤٨١٧، أبو نعيم، حلية، ج١ ص٢٨.
(٢) نفس المصادر .

عن عبد الله بن عمر قال : «كان سبب موت أبي بكر وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، كمد فمازال جسمه يحرى حتى مات» ، وكانت وفاته سنة ثلاث عشرة من الهجرة .

عمر بن الخطاب :

أما أبو حفص عمر بن الخطاب فكان القرآن هو مدخله إلى الإسلام، لم تستطع قوة أن تهزم قوته، أو تصد سطوته وثورته إلا آيات من سورة طه مست شغاف قلبه فهزته هزًّا عنيفًا وجعلته يتطامن بعد تطاول . وقد أوردنا حكايته مع رسول الله صلى الله عليه وسلم أولاً عندما سمع سورة الحاقة من فم رسول الله وهو يقرؤها بالمسجد الحرام فجعل عمر كلما سمع تعجب من نظم القرآن، وانشرح صدره بنور كلمات الله ووقع الإسلام في قلبه ، وتمكن من فؤاده .

ولما توجه عمر تلقاء بيت أخته فاطمة ليفتك بها لما سمع بإسلامها، قاومته وراجعته حتى يئس منها ، فقال لها : أعطوني هذا الكتاب الذي عندكم فأقرأه ، لأنه سمعها تقرأ هي وزوجها، وكان عمر قارئًا للكتب، فقالت له أخته : إنك رجس ولا يمسه إلا المطهرون فقم فاغتسل ، أو توضأ ، فقام فتوضأ لأن قلبه قد لان آنذاك ، وعصبيته قد زالت . أخذ عمر الكتاب فقرأ فيه ﴿طَهَ﴾ حتى انتهى إلى قوله ﴿إِنَّنِي أَنَا اللَّهُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ أَنَا فَاعْبُدْنِي وَأَقِمِ الصَّلاَةَ لِذِكْرِي﴾ .

فقال عمر دلوني على محمد. فلما سمع خباب بن الأرت ، وكان بالدار يقرأ القرآن مع فاطمة وزوجها وكان مختبئًا فظهر ، وقال أبشر يا عمر فإني أرجو أن تكون دعوة رسول الله صلى الله عليه وسلم لك ليلة الخميس (اللهم أعز الإسلام بعمر بن الخطاب أو بعمر بن هشام ، قال ورسول الله صلى الله عليه وسلم في الدار ، التي في أصل الصفا ، فانطلق عمر حتى أتى الدار وأعلن إسلامه أمام رسول الله صلى الله عليه وسلم وكبر المسلمون عند ذلك ، وهكذا عز الإسلام بعمر ، كما عز عمر بالإسلام ، وبإسلام عمر دخلت الدعوة الإسلامية طورًا جديدًا وقوى وضع المسلمين. وعلى الجانب الأخر فقد أحدث اعتناق عمر للإسلام ارتباكًا في صفوف المشركين .

وبهذا ندرك أن الإسلام لم ينتصر بالقوة الإلهية وحدها بل بجهاد المسلمين ومثابرتهم أيضا . ولكي ينتصر الحق فلا بد له من قوة إلهية وقوة بشرية تعملان معًا وفي نفس الوقت على نصرته وحمايته .

عن ابن عباس قال: « سألت عمر بن الخطاب رضي الله عنه لأي شيء سميت الفاروق؟ قال أسلم حمزة قبلي بثلاثة أيام ثم شرح الله صدري للإسلام فقلت : الله لا إله إلا هو له الأسماء الحسنى، فما في الأرض نسمة أحب إلي من نسمة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقلت :أين رسول الله ؟ فقالت أختي هو في دار الأرقم ابن الأرقم عند الصفا فأتيت الدار وحمزة في أصحابه جلوس في الدار، ورسول الله صلى الله عليه وسلم في البيت فضربت الباب فاستجمع القوم فقال لهم حمزة : ما لكم ؟ قالوا : عمر بن الخطاب. قال : فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخذ بمجامع ثيابه ، ثم هزه هزة فما تمالك أن وقع على ركبته، فقال : ما أنت بمنته يا عمر؟ قال : قلت : أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، قال : فكبر أهل الدار تكبيرة سمعها أهل المسجد . قال : فقلت : يا رسول الله ألسنا على الحق إن متنا وإن حيينا ؟ قال : بلى، قال والذي نفسي بيده إنكم على الحق إن متم وإن حييتم.

فقلت : فيما الاختفاء ؟ والذي بعثك بالحق لنخرجن فأخرجناه في صفين، حمزة في أحدهما، وأنا في الآخر، له كديد ككديد الطحين، حتى دخلنا المسجد. قال : فنظرت إلي قريش وإلى حمزة فأصابتهم كآبة لم يصبهم مثلها فسماني رسول الله صلى الله عليه وسلم يومئذ الفاروق»[1].

قال أهل السير أسلم عمر وهو ابن ست وعشرين سنة بعد أن أسلم أربعون رجلاً وعشر نسوة.

وعن داود بن الحصين والزهري قالا : لما أسلم عمر نزل جبريل عليه السلام فقال يا محمد استبشر أهل السماء بإسلام عمر.

الله الله يا عمر يكتب خروج الإسلام على يديك من الدار إلى البوادي والقفار ، ثم إلى البلاد والأمصار وتفوق قوتك يا عمر بسر سورة طه قوة المشركين .

إنك أنت يا عمر الذي خرج من ضيق الكفر ، إلى سعة الإيمان ومن ظلمة الشرك إلى نور التوحيد، ومن شهرة لا تعدو بطاح مكة، وقبائل العرب المجاورة إلى الشهرة العالمية التي طبقت الخافقين وملأت أرجاء العالمين، وصيرتك من السابقين ومن المقدمين.

---

(١) صفة الصفوة، ج١ ص٨٣-٨٥، الإصابة ، ج٢ رقم٥٧٣٦، مروج الذهب ص٣١٢ وما بعدها.

لقد عز عمر بجاه القرآن، وروى منه وطعم، وتمثله وتخلقه، حتى انبثق منه نوره وفاض سناه فكان صحابيًّا قويًّا، شجاعًا مقدامًا، وكان قرآنيًّا حازمًا، رحيمًا كريمًا جمع بين أقصى الطرفين العدل المطلق، والرحمة المطلقة، وهذه هي أهم الخصائص العمرية.

لأنه أحب القرآن فكان القرآن ينزل بموافقته في بعض المناسبات وكأن القرآن كان يبادله حبا بحب ، وموافقة بموافقة . أخرج الترمذي عن ابن عمر، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : «إن الله جعل الحق على لسان عمر وقلبه» قال ابن عمر :«وما نزل بالناس أمر قط فقالوا وقال ، إلا نزل القرآن على نحو ما قال عمر» .

عن أنس رضي الله عنه قال : قال عمر - رضي الله عنه - «وافقت ربي عز وجل في ثلاث قلت : يا رسول الله لو اتخذنا من مقام إبراهيم مصلى فنزلت ﴿وَاتَّخِذُوا مِنْ مَقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى﴾ (البقرة ١٢٥) وقلت يا رسول الله إن نساءك يدخل عليهن البر والفاجر، فلو أمرتهن أن يحتجبن. فنزلت آية الحجاب﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لاَ تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ إِلاَّ أَنْ يُؤْذَنَ لَكُمْ إِلَى طَعَامٍ غَيْرَ نَاظِرِينَ إِنَاهُ وَلَكِنْ إِذَا دُعِيتُمْ فَادْخُلُوا فَإِذَا طَعِمْتُمْ فَانْتَشِرُوا وَلاَ مُسْتَأْنِسِينَ لِحَدِيثٍ إِنَّ ذَلِكُمْ كَانَ يُؤْذِي النَّبِيَّ فَيَسْتَحْيِي مِنْكُمْ وَاللَّهُ لاَ يَسْتَحْيِي مِنَ الْحَقِّ وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا فَاسْأَلُوهُنَّ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ ذَلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ وَمَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُؤْذُوا رَسُولَ اللَّهِ وَلاَ أَنْ تَنْكِحُوا أَزْوَاجَهُ مِنْ بَعْدِهِ أَبَدًا إِنَّ ذَلِكُمْ كَانَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمًا﴾ (الأحزاب ٥٣) واجتمع على رسول الله صلى الله عليه وسلم نساؤه في الغيرة فقلت : ﴿عَسَى رَبُّهُ إِنْ طَلَّقَكُنَّ أَنْ يُبْدِلَهُ أَزْوَاجًا خَيْرًا مِنْكُنَّ مُسْلِمَاتٍ مُؤْمِنَاتٍ قَانِتَاتٍ تَائِبَاتٍ عَابِدَاتٍ سَائِحَاتٍ ثَيِّبَاتٍ وَأَبْكَارًا﴾ (التحريم ٥) فنزلت كذلك». حديث متفق عليه.

وعن عائشة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال :« قد كان في الأمم محدثون، فإن يكن في أمتي فعمر». حديث متفق عليه.

وكان عمر قويا على الشيطان ، عن سعد بن أبي وقاص عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال لعمر :" والذي نفسي بيده ما لقيك الشيطان سالكا فجا إلا سلك فجا غير فجك ". أخرجاه في الصحيحين.

وعنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «عمر بن الخطاب سراج أهل الجنة» وكان عمر هو أول من نبه على خطر تواجد العلوج والخدم غير المسلمين في المدينة

المنورة ،وذلك لما طعنه غلام المغيرة واسمه أبو لؤلؤة المجوسي. قال عمر والدم يسيل منه «الحمد لله الذي لم يجعل ميتتي بيد رجل يدعي الإسلام»، ولما قيل له : إن شئت قتلناهم قال :«.. بعدما تكلموا بلسانكم، وصلوا إلى قبلتكم، وحجوا حجكم».فانظر إلى هذه الشخصية القوية كيف تسامح ولا تطالب بالثأر ، أو تحرض على الانتقام .

كان عمر رحمه الله صاحبًا لرسول الله ، ومصاحبًا لكتاب الله . لما حمل على سريره ليدفن بجوار صاحبه أشار إليه علي بن أبي طالب وقال : «والله ما على الأرض رجل أحب إلى أن ألقى الله بصحيفته من هذا المسجى بالثوب».

عثمان بن عفان:

وأما عثمان ذو النورين فهو الرجل الحيي والمستحي منه . كان غنيًا كريمًا وشهمًا نبيلاً، نهل وعب من نبع القرآن وتزود من مأدبة الفرقان، أحبه النبي صلى الله عليه وسلم ، وأحبه أصحابه وأقروا له بالفضل . عن ابن عمر في قوله تعالى :﴿أَمَّنْ هُوَ قَانِتٌ ءَانَاءَ اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الآخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ﴾ قال : «قصد عثمان بن عفان».

قالت زوجته حين قتل : «قتلتموه وإنه ليحيى الليل كله بالقرآن»[1].

جمع رضي الله عنه القرآن في مصحف إمام ، جمع على قراءته أَلْسِنَةِ أهل الأمصار، فقرت بعمله المبارك هذا عيون المسلمين، وصار مصحف عثمان هو المصحف الإمام. وقد مرت الإشارة إلى أن القرآن قد جمع ثلاث مرات كما ذكر الحاكم في المستدرك، الأولى بحضرة النبي صلى الله عليه وسلم. قال الحارث المحاسبي (ت ٢٤٣هـ) في كتاب فهم السنن (كتابة القرآن ليست بمحدثة فإنه صلى الله عليه وسلم كان يأمر بكتابته، ولكنه كان مفرقًا في الرقاع والأكتاف والعسب. فإنما أمر الصديق بنسخها من مكان إلى مكان مجتمعًا وكان ذلك بمنزلة أوراق وجدت في بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فيها القرآن منتشر فجمعها جامع، وربطها بخيط حتى لا يضيع منها شيء[2] والجمع الثاني في عهد أبي بكر ، والثالث في عهد عثمان رضي الله عنهما ، وكان عبارة عن ترتيب السور في المصحف . وفي الإجابة على سؤال كيف وقعت الثقة

---

(١) صفة الصفوة، ج١ ص٩١ - ١٠٤ .

(٢) السيوطي ، إتقان ، ج١ ص١٧٠ .

بأصحاب الرقاع وصدور الرجال؟ يقول المحاسبي : قيل لأنهم كانوا يبدون عن تأليف معجز، ونظم معروف، وقد شاهدوا تلاوته من النبي صلى الله عليه وسلم عشرين سنة، فكان تزوير ما ليس منه مأمونا، وإنما كان الخوف من ذهاب شيء من صحيفة .

وإذاً فاحتمال ضياع شيء من القرآن فإنه أمر مستبعد بالكلية لأن الله قد تكفل بحفظه ،وهيأ الأسباب لتحقيق ذلك ، وإنما كان تخوف الصحابة من حدوث أدنى شيء من التحريف في القرآن هو حرصهم الشديد على بقائه سالمًا كما أنزله تعالى .

وأخرج ابن أبي أشته في كتاب المصاحف أن رجلاً من بني عامر يقال له أنس ابن مالك قال : «اختلفوا في القراءة على عهد عثمان حتى اقتتل الغلمان والمعلمون، فبلغ ذلك عثمان بن عفان فقال : عندي تكذبون به وتلحنون فيه فمن نأى عني كان أشد تكذيبًا، وأكثر لحنًا يا أصحاب محمد اجتمعوا فاكتبوا للناس إمامًا. فاجتمعوا»[1] .

وجه عثمان رضي الله عنه الرهط القرشيين الذين اختارهم لجمع القرآن أن يكتبوا القرآن بلغة قريش لأنه (إنما نزل بلسانهم) . وهذا يفيدنا في مسألتين تختصان بطبيعة لغة القرآن ، الأولى أن القرآن قد نزل في عمومه بلسان قريش ، وهو المعبر عنه في قوله تعالى ﴿بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ﴾ .وأما الثانية فإن لغة ، أو لهجة قريش ، كانت هي الأرق والأوسع من حيث الألفاظ والأعمق من حيث المعاني، والأحكم والأجزل من حيث التراكيب والمباني ، والأمكن والأظهر من حيث الاستعمال والشيوع . نقل ابن جني في الخصائص عن أبي العباس أحمد بن يحيى ثعلب قال : «ارتفعت قريش في الفصاحة عن عنعنة تميم، وكشكشة ربيعة، وكسكسة هوازن، وتضجع قيس، وعجرفية ضبة وتلتلة بهراء » ومعنى عنعنة تميم أنها كانت تقول «أن » في موضع « عن » وأما تلتلة بهرام فإنهم كانوا يقولون تعلمون وتفعلون بكسر التاء .وأما كشكشة ربيعة فإنها تقول مع كاف ضمير المؤنث إنكش ، ورأيتكش، وأعطيتكش تفعل هذا في الوقف دون الوصل .وأما كسكسة هوازن فتظهر في قولهم أعطيتكس، ومنكس وعنكس. وهو في الوقف دون الوصل أيضًا[2] .

زيد بن حارثة :

زيد بن حارثة بن عبد العزى بن امرئ القيس . كان يقال له زيد الحِب . وقع زيد

---

(١) نفس المصدر السابق .

(٢) أبو الفتح عثمان بن جني. الخصائص. (القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٤٠٧هـ ١٩٨٧م)ج٢ ص١٣-١٤.

في الأسر في الجاهلية عندما غارت خيل لبنى القين على أبيات بني معن فأسروا زيدا وهو يومئذ غلام يفعة ،ثم حملوه إلى سوق عكاظ وباعوه هناك لحكيم بن حزام الذي اشتراه لعمته خديجة بنت خويلد بأربعمائة درهم ، فلما تزوجها رسول الله صلى الله عليه وسلم وهبته له . وكان الرسول صلى الله عليه وسلم أسن من زيد بعشر سنين وأكبر منه ، ولما عرف أبو زيد بعد بحث أن ابنه في مكة عند رسول الله ذهب إليه هو وعمه كعب وقالا له وكان في المسجد : يا ابن هاشم ، يا ابن سيد قومه ، أنتم أهل حرم الله وجيرانه تفكون العاني وتطعمون الأسير ، جئناك في ابننا عندك ، فامنن علينا وأحسن إلينا في فدائه ، فإنا سنرفع لك في الفداء.

قال: ما هو ؟ قالوا : زيد بن حارثة . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : فهلا غير ذلك ؟ قالوا : ما هو ؟ قال : ادعوه فخيروه فإن اختاركم فهو لكما بغير فداء ، وإن اختارني فوالله ما أنا بالذي أختار على من اختارني أحدًا . قالوا : قد زدتنا على النصف (بفتحة مشددة على النون وفتحة على الصاد ومعناها إعطاء الحق) وأحسنت . ولما جاء زيد ورأى أباه وعمه خيَّره رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال زيد ما أنا بالذي أختار عليك أحدًا. أنت مني بمنزلة الأب والعم . فقالا : ويحك يا زيد أتختار العبودية على الحرية ، وعلى أبيك وعمك ، وأهل بيتك ؟ قال : نعم . إني قد رأيت من هذا الرجل شيئًا ما أنا بالذي أختار عليه أحدًا أبدًا . فلما رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك منه أشهد الناس أنه تبنى زيدًا فدعي زيد من يومها بزيد بن محمد حتى جاء القرآن بإبطال عادة التبني ، يقول تعالى : ﴿ ادْعُوهُمْ لآبَائِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِنْدَ اللَّهِ فَإِنْ لَمْ تَعْلَمُوا آبَاءَهُمْ فَإِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ وَمَوَالِيكُمْ ...﴾ (الأحزاب ٥) فدعي يومئذ زيد بن حارثة ، بعد أن كان يدعى زيد بن محمد .

زوجه النبي صلى الله عليه وسلم زينب بنت جحش بنت عمته أميمة بنت عبد المطلب . فلما طلقها زيد لحدة كانت فيها عليه ، تزوجها رسول الله بعد أن انقضت عدتها ، بأمر الله تعالى ، ولذلك كانت زينب تفخر على نساء النبي ، وتقول إن الله عز وجل أنكحني من السماء . ولما تكلم المنافقون في زواج النبي منها ، وقالوا تزوج محمد امرأة ابنه ، نزل قوله تعالى : ﴿مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ وَلَكِنْ رَسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا﴾ (الأحزاب ٤٠) وقوله قبلها: ﴿لَمَّا قَضَى زَيْدٌ مِنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَاكَهَا لِكَيْ لاَ يَكُونَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِي أَزْوَاجِ أَدْعِيَائِهِمْ إِذَا قَضَوْا مِنْهُنَّ وَطَرًا وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولاً﴾ (الأحزاب ٣٨) . قال

الزهري : أول من أسلم زيد . ولم يسم الله أحدًا من الصحابة في القرآن باسمه غير زيد. وقد شهد زيد غزوة بدر ، وأحد ، والخندق ، والحديبية ، وخيبر ، واستخلفه النبي صلى الله عليه وسلم ، على المدينة حين خرج إلى المريسيع ، وأمره رسول الله صلى الله عليه وسلم على سبع سرايا . وقتل زيد في غزوة مؤتة في جمادى الأولى سنة ثمان ، وهو ابن خمس وخمسين سنة فبكاه رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى انتحب ، فقال له سعد بن عبادة : ما هذا يا رسول الله ؟ قال: هذا شوق الحبيب إلى حبيبه(١).

هذا هو زيد بن حارثة حِبُّ رسول الله الذي يزعم مكسيم رودينسون أنه كان يعلم محمدًا الديانة النصرانية التي كانت شائعة في قبيلته ، إنه لا يوجد أي دليل ، ولو بحجم فسخ الشعرة على أن زيدًا كان ملمًّا بالنصرانية حتى يعلمها غيره ، وقد ذكرنا أنه كان غلامًا يافعًا عندما اشترته خديجة رضوان الله عليها . وليس يوجد لدينا كذلك ما يفيد ولو من بعيد أن زيدًا كان له اهتمام بالنصرانية ، وشغل بها ، يضاف إلى هذا أن قبيلته لم تكن معروفة كذلك بالنشاط الديني بين القبائل . وبالتالي فزعم رودينسون لا أساس له ولا دليل عليه أصلاً .

وما كان أحرى بالكاتب ، لو أراد أن يلتزم الحق أن يقول أن زيدًا شأنه شأن جميع الصحابة هو الذي تعلم من رسول الله صلى الله عليه وسلم وتزود من أدبه وخلقه ، ولولا محمد لما سمع أحد عن زيد .

المفاوضة بين رسول الله والمشركين وأكذوبة الغرانيق :

ونعود الآن فنواصل عرضنا وتحليلنا لكتاب رودينسون . ونتناول هنا الموضوع الذي أثاره حول تلك المفاوضة التي جرت بين رسول الله صلى الله عليه وسلم وبين أبي الوليد عتبة بن ربيعة نيابة عن قريش ، بقصد أن يتخلى النبي صلى الله عليه وسلم عن دعوته في مقابل تحقيق أي شيء قد يرغب فيه ، المال ، أو السلطان ، أو العلاج إن كان يعاني من مرض .

يزعم الكاتب أن هذه المفاوضة قد لفقها مؤرخو المسلمين لخدمة غرض معين ، ولكنها في نفس الوقت تحتوي على شيء من الحقيقة ، هذا الشيء تؤكده قصة

(١) صفة الصفوة ، ج١ ص١١٨ - ١٢١ ، ابن حجر، الإصابة، ج١ ص٥٦٣ .

الغرانيق، تلك الأكذوبة التي باءت بإثمها بعض كتب التاريخ ، وتتلخص القصة كما لفقوها في أنه صلى الله عليه وسلم كان يحب أن ينزل عليه شيء من القرآن يرضي قومه ويجاملهم ، لأنه صلى الله عليه وسلم كان يحبهم ، ويود أن يقترب منهم وتتحسن علاقته بهم ، تقول الرواية الموضوعة ، أنه بينما كان النبي صلى الله عليه وسلم يصلي بسورة النجم سكت سكتة طويلة بعد قراءة ﴿أَفَرَأَيْتُمُ اللَّاتَ وَالْعُزَّى (١٩) وَمَنَاةَ الثَّالِثَةَ الْأُخْرَى﴾ (النجم ١٩-٢٠) فوضع الشيطان على لسانه هذه العبارة : «تلك الغرانيق العلا وإن شفاعتهن لترتجى» . ففرحت قريش بتمجيد محمد لآلهتها وسجدوا مع المسلمين على سبيل الشكر . وكنتيجة لهذا الموقف الملفق عاد المسلمون المهاجرون من الحبشة إلى مكة .

وقد بينت في قرينة ردي على المستشرق الإسكتلندى مونتجمري وات في كتابي «القرآن الكريم من المنظور الاستشراقي» تهافت هذه القصة ،وتهافت المتمسكين بها، ومما ذكرته أن أول سورة النجم بل وآياتها كلها تكذب الواقعة من أساسها ، إذ يشتمل أول السورة على قَسَم بأن محمدًا صلى الله عليه وسلم ما ضل وما غوى ، وأنه لا ينطق عن الهوى فأين منفذ الشيطان هنا يا ترى؟

وعلاوة على هذا فإن هذه الآيات قد نزلت بشأن المعراج ، المترتب على الإسراء. وموقف المشركين منه صلى الله عليه وسلم في هذا الوقت، وبسبب هذا الحدث العظيم جد معروف ، فقد كذبوه وشنعوا به ، حتى لقد ارتد بعض ضعاف الإيمان من المسلمين بسبب وقع خبر الإسراء على نفوسهم . وموقف قريش منه صلى الله عليه وسلم قبل هذه الحادثة أيضًا جد معروف ، فلقد فقد النبي صلى الله عليه وسلم عمه ونصيره أبا طالب فازداد تواثب الكفار عليه وملاحقتهم له واشتد أذاهم به ، ولم يحدث أن هادنهم أبدًا ، أو أنه تمنى مواصلتهم فيما حرم الله تعالى ، أضف إلى ذلك أن آية السجدة هي آخر آية في سورة النجم ؛ وهي تدعو إلى السجود لله وحده ، وكيف يعرف المشركون أن في هذه الآية سجدة تلاوة حتى يسارعوا هكذا بالسجود. ومن الجدير بالملاحظة أن العرب لم تعرف أصنامًا قط بهذا الاسم «الغرانيق العلا» حتى تأتي الآية في تمجيدها على هذا النحو . إن هذه القصة مرفوضة من جميع الوجوه ، وليس لها أصل لا في القرآن ، ولا في الأحاديث الصحيحة ، بل ولا في الأحاديث الضعيفة ، وكل ما روي بشأنها من المرسلات والمنقطعات ، هذا ولم يقبلها أحد من علماء المسلمين كذلك ، بل إن هذه القصة المتهافتة لم تظهر في

الكتابات المبكرة في الإسلام ، ولم يذكرها ابن إسحاق وهو الحجة في كتابة السيرة النبوية، وإنها لم تظهر إلا في كتاب أبي جعفر ابن جرير الطبري (ت ٩٢٣م) مؤرخ القرن الرابع الهجري ، العاشر الميلادي. وفوق ذلك وقبل كل شيء فإنها منافية تمامًا لعقيدة التوحيد التي هي روح وقاعدة الإسلام ، والتي لم يهادن فيها محمد صلى الله عليه وسلم قط ، بل لقد تحمل الأذى ، كل الأذى في سبيلها .

يقول رودينسون :«إن محمدًا لما أدرك خطورة ذلك على دعوته اخترع فكرة كون هذه الآيات من وضع الشيطان ، وزعم أن كل نبي من أنبياء الله كان قد تعرض لمثل هذا الموقف من قبل » يشير الكاتب بذلك إلى قوله تعالى : ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلاَ نَبِيٍّ إِلاَّ إِذَا تَمَنَّى أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ فَيَنْسَخُ اللَّهُ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ ثُمَّ يُحْكِمُ اللَّهُ ءَايَاتِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ(٥٢)لِيَجْعَلَ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ فِتْنَةً لِلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَالْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ وَإِنَّ الظَّالِمِينَ لَفِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ﴾ (الحج ٥٢، ٥٣)، ومعنى ﴿تَمَنَّى﴾ أي رغب في هداية قومه ، ومعنى ﴿أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ﴾ أي حاول أن يقترح عليه طرقًا أخرى لجذبهم إلى دعوته[1]. وما دام النبي ، أي نبي ، لا يأخذ إلا عن الله تعالى ولا يتلقى إلا منه تعالى ، فإنه عز وجل كما يعصمه من الناس يعصمه كذلك من وساوس الشيطان وإلقاءات الشيطان في الروع ، وهذا لا متعلق له بالقرآن، بل هو حديث النفس، وهو على شاكلة قوله تعالى للنبي صلى الله عليه وسلم ﴿فَلَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَفْسَكَ عَلَى ءَاثَارِهِمْ إِنْ لَمْ يُؤْمِنُوا بِهَذَا الْحَدِيثِ أَسَفًا﴾(الكهف٦). ﴿فَلاَ تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرَاتٍ﴾ (فاطر ٨) . وقوله لنوح عليه السلام عندما قال: ﴿رَبِّ إِنَّ ابْنِي مِنْ أَهْلِي﴾، ﴿قَالَ يَانُوحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ﴾ (هود ٤٤ ، ٤٥) . هذا ولم يرد في القرآن قط أن نبيًّا من أنبياء الله تعالى تقرب إلى قومه بما هو ضد دعوته ، بل على العكس لقد كانت معركة جميع الأنبياء دائمًا مع أقوامهم من أجل إقرار عقيدة التوحيد وإفراد الله تعالى بالعبادة .

يقول رودينسون : «أن الثلاث آيات التي زعموا أن الشيطان ألقى بها في القرآن ، قد انتزعها محمد منه ووضع مكانها آيات أخرى في رفض طائفة ، أو عُبَّادِ الغرانيق . ويقول أيضًا أن رواية الطبري لهذه الحادثة جيدة لأنه وضعها في عبارات صريحة وواضحة ، تفيد أن اللاوعي لدى محمد قد استطاع أن يمده بصيغة توفيقية كانت محل إجماع المسلمين والمشركين ، وهي في نفس الوقت لم تبدُ مصادمة لعقيدة محمد في

(١) ابن كثير ج٢ ص٥٥٠ - ٥٥١، و ج٢ ص٤٤٠ - ٤٠١ .

الدعوة إلى إله معين ، مع عدم رفض الآلهة الأخرى أو الاعتراض عليها Henotheism وذلك لأن هذه الغرانيق والتي كان يطلق عليها أيضا بنات الله ، كانت من نوع الطير، وكانت تشبه الملائكة أو الجن التي اعتُقِدَ فيها أنها تابعة وخاضعةلله ، وبهذا أضفى محمد الشرعية على هذه المعبودات» يعني الغرانيق . (ص١٠٧) .

وبهذا يكون رودينسون قد استطاع أن يلتقط تلك الشعيرة ، أعني حكاية الغرانيق الملفقة ، ويوظفها ضمن عملية تحليلاته النفسية المادية غير العلمية على شخصية الرسول صلى الله عليه وسلم . ويستمر رودينسون في نظم مزاعمه فيقول : «إن هذا الاعتراف من قبل محمد بالغرانيق ، يعني آلهة قريش ، فيه إشارة إلى أن الدعوة التي جاء بها لا تعد ثورية في مجالها ، وأن هذه الفرقة الجديدة (يعني المسلمين) قد بحدت آلهة أهل مكة واحترمت أماكنها المقدسة ، وبالتالي فقد عاد محمد بهذا إلى وثنية قومه ، ونبذ ما تعلمه من اليهود والنصارى» .

يبدو أن هذا الكاتب لا يتحمل أن يكون موضوعيًّا ومعقولاً ، ولو للحظة واحدة ، في قراءة مادته وفي تحليلها ، وتأسيس النتائج عليها ، ويبدو كذلك أنه يتكلم عن دين ليس هو الإسلام بالقطع . ومن الجدير بالملاحظة أن رودينسون بينما يطلق على الإسلام اسم «فرقة» كما هو عنوان الباب الثاني من كتابه هذا ، كتعبير عن الإسلام يتجاهل تماما إطلاق اسم «الدين» أو «الديانة» على الإسلام .

يضيف نفس الكاتب قائلا : «إنه وبعد فرحة الوثنيين المزعومة في مكة بعودة محمد إلى دينهم ، والاعتراف بآلهتهم ، كان على محمد أن يقرر إما أن يستمر هكذا مع قومه الوثنيين على هذا الوضع ، أو يرجع إلى اليهودية أو النصرانية وينتمي إلى الكنائس الأجنبية ليؤسس لنفسه مجدًا يتزعم به على العرب ، إلا أنه لما عاد إلى الوحدانية مرة أخرى عاداه قومه واضطهدوا أتباعه وألبوا عليه القبائل بحجة أنه قد خرج عن دين الأسلاف» (ص١٠٨و١٠٩).

ثم يشير مكسيم رودينسون إلى حصار الكفار للمسلمين في شعب أبي طالب بمكة، ويقول : «إن هذا الحصار لم يكن كافيًا في التضييق على المسلمين وذلك لأن العرب لم تكن لهم حكومة مركزية يمكن أن توقع هذا الحصار بالشدة المطلوبة (ص ١١١) ولسنا ندري ما نوع الحصار الذي يريده رودينسون ! هل كان يريد حصارًا من نوع الحصارات الحديثة التي تفرضها الأمم الغربية ؛ وبالذات على الدول الإسلامية لإضعافها ؟ لقد كان الحصار شديد الوطأة على المسلمين ، وكان يعتبر

حصارًا غير مسبوق تقريبًا ، لكن المسلمين قد صمدوا له لأنهم كانوا أصحاب رسالة إلهية سامية ، ولهم هدف محدد وغاية معروفة ، ولذلك فقد خرجوا منه منتصرين ، حتى لكأن شعب أبي طالب قد صار هو القاعدة التي انطلق منها الإسلام قويًا لينتشر نوره في العالمين، ويغمر بسماحته أهل الأرض أجمعين .

وبنفس الطريقة المغرضة يزعم رودينسون أن المسلمين الأوائل ، الذين أمرهم النبي صلى الله عليه وسلم بالهجرة إلى الحبشة للهروب من اضطهاد قريش ، كانوا يمثلون خطرًا على محمد نفسه، ولذلك فإنه تخلص منهم عندما وجههم إلى هذه البلاد ، مستشهدًا على ذلك بالميول الدينية الحنيفية لعثمان بن مظعون من بني جمح ، الذي هاجر هو وابنه السائب ، وأخواه قدامة وعبد الله ابنا مظعون إلى الحبشة[1]. ويزعم رودينسون أنه نظرًا لتمسك عثمان بن مظعون بالوحدانية خشي محمد على نفسه منه إذا بقي في مكة أن يجمع الناس حوله ويصرفهم عنه (ص١١٤) . لو راجع هذا الكاتب فكرته ، وتأنى في إصدار تلك الأحكام التعسفية ، والاستنتاجات الوهمية ، لعلم أن المهاجرين إلى الحبشة كبقية الصحابة كانوا يحبون رسول الله صلى الله عليه وسلم الحب كله ، ويطيعون أمره ويعتقدون في صدق رسالته لا يرتابون في ذلك نقيرًا ولا قطميرًا ، وأنه لو كان الأمر كما ظن هذا المخرص لتمسك عثمان بن مظعون على العكس بالبقاء في مكة لنشر أفكاره وتجميع الناس من حوله، ولكن شيئًا من ذلك لم يحدث قط ، لا قبل الهجرة إلى الحبشة ، ولا بعدها .

بل إن ابن هشام ليروي إنه لما رأى عثمان بن مظعون ، بعد أن رجع من الحبشة ودخل مكة في حماية الوليد بن المغيرة ، ما فيه أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم من البلاء ، وهو يغدو ويروح في أمان من الوليد بن المغيرة ، قال :«والله إن غدوي ورواحي آمنًا بجوار رجل من أهل الشرك وأصحابي وأهل ديني يلقون من البلاء والأذى في الله ما لا يصيبني ، لنقص كبير في نفسي . فمشى إلى الوليد بن المغيرة ، فقال له .... وفيت ذمتك ، قد رددت إليك جوارك ، .... ولكني أرضى بجوار الله ، ولا أريد أن استجير بغيره» . وأورد ابن هشام كذلك أن عثمان بن مظعون سمع لبيد ابن ربيعة ينشد :

ألا كل شيء ما خلا الله باطل

(١) سيرة ابن هشام، ج١ ص٢٨٠ - ٢٨٤ ، ابن الجوزي. صفة الصفوة، ج١ ص١٤١ - ١٤٣، ابن حجر. الإصابة، ج٢، ص٢٤٩. وحول شعب أبي طالب، انظر سيرة ابن هشام، ج١، ص١١١ .

قال عثمان : صدقت . قال لبيد :

وكل نعيم لا محالة زائل

قال عثمان : كذبت : نعيم الجنة لا يزول . قال لبيد بن ربيعة : «يا معشر قريش، والله ما كان يُؤْذَىَ جَلِيسُكم ، فمتى حدث هذا فيكم». فقال رجل من القوم :«إن هذا سَفِيهُ في سُفَهاء معه ، قد فارقوا ديننا ، فلا تجدن في نفسك من قوله»؛ فرد عليه عثمان حتى شري أمرهما ، فقام إليه ذلك الرجل فلطم عينه فخضرها والوليد ابن المغيرة قريب يرى ما بلغ من عثمان ، فقال :«أما والله يا ابن أخي أن كانت عينك عما أصابها لغنية ، لقد كنت في ذمة منيعة». قال : فقال عثمان :«بلى والله إن عيني الصحيحة فقيرة إلى مثل ما أصاب أختها في الله ، وإني لفي جوار من هو أعز منك وأقدر يا أبا عبد شمس». فقال له الوليد : هلم يا ابن أخي ، إن شئت فعد إلى جوارك، فقال : «كلا»[1].

أسلم عثمان بن مظعون رضي الله عنه قبل دخول رسول الله صلى الله عليه وسلم دار الأرقم ، وهاجر إلى الحبشة الهجرتين ، وحرم الخمر على نفسه في الجاهلية وقال : «لا أشرب شيئًا يذهب عقلي ، ويضحك بي من هو أدنى مني ، ويحملني على أن أنكح كريمتي من لا أريد».

وشهد بدرًا وكان متعبدًا ، وكانت وفاته بالمدينة في شعبان بعد مضي ثلاثين شهرًا على الهجرة ، ولما دخل عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل خده وكانت دموعه تسيل عليه، وسماه النبي (السلف الصالح)[2] .

هذا هو الزاهد المسلم عثمان بن مظعون الذي يصوره رودينسون منافسًا لمحمد ، يرجع إلى مكة على العكس أقوى إيمانًا وأشد إصرارًا على اتباع محمد وحبه وإيثاره له وللمسلمين على نفسه . ولو أنصف رودينسون في حكمه لعرف أن الخطر كل الخطر كان يكمن في إرسال محمد صلى الله عليه وسلم لعثمان وغيره إلى الحبشة التي كان لها دينها ونظامها المستقر وكان يمكن أن تتخذ من هؤلاء المسلمين موالين أو عملاء ، وتشتري ذممهم، وتجندهم لمصالحها وتردهم عن دينهم وتستعين بهم في ضرب الدعوة الجديدة في مهدها في مكة ، والتي ربما كانت تمثل خطرًا كبيرًا عليهم بالموازين السياسية، أو تقتلهم إن أبوا عليها ذلك ، ولكن شيئًا من ذلك لم يحدث ، بل على

(١) سيرة ابن هشام، ج٢، ص١٤ - ١٥ .

(٢) صفة الصفوة، ج١، ص١٤٢.

العكس فقد أسلم النجاشي ، وأسلم معه الكثير من أهل الحبشة ، وصلى عليه الرسول صلى الله عليه وسلم صلاة الجنازة في المدينة عندما سمع بنبأ وفاته . لم يقف رودينسون عند حد هذا الزعم بل إنه عاد فنقضه ؛ إذ أنه عاد فشكك في صحة خبر الهجرة إلى الحبشة وما تبعها من أحداث كإسلام النجاشي وأفراد حاشيته (ص١١٦و١١٧) .

الطعن في قصص القرآن والعبادات الإسلامية وموضوعات أخرى:

يعتبر رودينسون القصص القرآني كقصة يأجوج ومأجوج ، وقصة أهل الكهف وقصة موسى والخضر كلها أساطير، بل إنه يزعم أكثر من ذلك فيقول إن الإله الذي تكلم عنه محمد كانت تعرفه قريش وكانت تسميه الرحمن . ويعتبر هذا الكاتب أن محمدًا قد تناقض مع نفسه ، شأنه في ذلك شأن أصحاب السلوك الباطني من النصارى والمسلمين في عرض نظرية الخلاص ، ومسألة القضاء والقدر ، والهداية والإضلال ، تلك القضايا والمشكلات الكبرى التي لم يستطع محمد حلها (ص١٢١-١٢٥) .

ويحذو رودينسون حذو وات ، في كتابه عن محمد صلى الله عليه وسلم كنبي ورجل دولة ، فيزعم أن العبادات الإسلامية منتحلة من عبادات النصارى ، وأنها في نفس الوقت عبادات شكلية لا تتصل بقلوب أو سلوك العباد ، ويؤيد رودينسون هذا الزعم بقوله بأن الإسلام كان تابعا لليهودية والنصرانية من حيث شكل العبادة ، وأن المسلمين كانوا يتوجهون في صلاتهم ، كاليهود والنصارى ، نحو بيت المقدس ؛وأنهم كأتباع الكنيسة النسطورية كانوا يصلون في أول ووسط وآخر النهار (ص١٢٧) . وهذا خطأ فاحش من الكاتب ، فصلاة المسلمين بلا شك تختلف عن صلاة اليهود والنصارى ، وإن اتفقت من حيث الأصل والقصد مع ما جاء به الأنبياء جميعًا ، أضف إلي ذلك أن التوجه إلى بيت المقدس في الصلاة كان بأمر من الله تعالى لرسوله صلى الله عليه وسلم، وقد رد الله تبارك وتعالى على المشنعين على رسول الله صلى الله عليه وسلم بسبب تحويل القبلة من بيت المقدس إلى بيت الله الحرام بمكة بقوله تعالى : ﴿سَيَقُولُ السُّفَهَاءُ مِنَ النَّاسِ مَا وَلاَّهُمْ عَنْ قِبْلَتِهِمُ الَّتِي كَانُوا عَلَيْهَا قُلْ لِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ (البقرة ١٤٢) . وبقوله في نفس السورة والسياق : ﴿....وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنْتَ عَلَيْهَا إِلاَّ لِنَعْلَمَ مَنْ يَتَّبِعُ الرَّسُولَ مِمَّنْ يَنْقَلِبُ عَلَى عَقِبَيْهِ وَإِنْ كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلاَّ عَلَى الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ(١٤٣)قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ

وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ وَإِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ ﴾ (البقرة ١٤٣ - ١٤٤) . وقد بين الله في الآية التالية لهذه الآية إصرار كل فريق من أهل الأديان على التمسك بقبلته ، أو وجهته، وأنه لا يمكن أن يتزحزح عنها ، وأن اعتراضهم على محمد إنما كان لمجرد التشنيع ، لا من أجل التمسك بحق أو الغيرة على دين.

أكد الله تعالى في القرآن الكريم أن تحويل القبلة إلى المسجد الحرام بمكة إنما كان بأمره سبحانه وتعالى ، وأنه هو الحق الذي أنزله على نبيه . كما أمر عز وجل المسلمين ألا يخشوا ملامة وتشنيع أهل الباطل ، والظالمين من أهل الكتاب . وينبغي أن يكون واضحًا في الأذهان أن توجه الرسول صلى الله عليه وسلم إلى بيت المقدس في بداية وجوده في المدينة لم يكن لغرض سياسي بقصد مجاملة اليهود أو اتباعهم ، وإنما كان ذلك أمرًا من الله وتقديرًا لأنبياء الله الذين عصتهم اليهود أنفُسُهم ، ثم إن تحوله صلى الله عليه وسلم إلى المسجد الحرام عند الصلاة إنما كان توجها لقبلة نبي أيضًا وهو إبراهيم عليه السلام.

يقول رودينسون إن المسلمين قد بدأوا فيما بعد يستقلون ظاهريًّا عن اليهود والنصارى ، ويتميزون عنهم كجماعة ، وقد كانت الصلاة من أبرز سمات هذه الجماعة الجديدة؛ وكان المسلمون يطورون تنظيمهم ويحددون علاقاتهم بالعالم الخارجي ، وإنه حتى بعد وجودهم في المدينة لم يكن لهم اسم معروف بل كان أعضاء هذه الجماعة ـ يعني المسلمين ـ حيث كانوا يسمون أنفسهم فقط بالمؤمنين ، وأن كل عضو منهم كان يسمى بالمؤمن ، وقد مضى وقت طويل على ذلك حتى خضع الناس لمحمد فسموا حينئذ بالمسلمين؛ والمسلم ـ يعني الخاضع لله ـ ولكن هذه الخصائص لم تطبق بالضرورة عليهم فقط بل إنهم أطلقوا هذا الاسم الأخير أيضًا على أتباع الأنبياء السابقين فسموهم مسلمين . ولم توجد هناك أية أمارة على وجود أمة منظمة للمسلمين في المدينة ، حيث إنهم كانوا فقط يتبعون محمدًا باعتباره نبيًّا يتلقى الإلهام من الله .(ص١٢٩).

إن رودينسون كما هو واضح يعطي تفسيرًا جديدًا لمعنى كلمة مسلم ، وتاريخًا جديدًا لظهور هذه الكلمة بين المسلمين ، فيجعل معنى كلمة مسلم أي خاضعًا بالقهر أو مستسلمًا لمحمد وليس لله كما يُلمَحُ من عبارته ، فهو يزعم أن كلمة مسلم نفسها

لم تظهر إلا بعد أن أخضع محمد الناس لسلطانه بالقوة ، ولذلك فقد تأخر ظهور هذه الكلمة إلى منتصف العهد المدني تقريبًا . وهذا زعم خارج على كل الحدود والمعهود في تاريخ الإسلام وسيرة النبي صلى الله عليه وسلم . إن هذا الكاتب يجدف ضد محمد بلا وعي فهو يجعله رجلاً معتادًا من عرض الناس يأكل ويشرب مثلهم ، ويتزوج وينجب مثل عموم البشر ، وليست تميزه أي صفات مطبوعة أو مكتسبة ، ويزعم نفس الكاتب أن محمدًا لم تكن تتوفر له مؤهلات النبي ، ولهذا فإنه لم يكن متوقعًا منه أن يأتي بمعجزة يؤكد بها دعوى النبوة ، حتى أنه قد تذرع بحجة أن الله يجري المعجزة على مشيئته وحده ، وما قال محمد ذلك إلا ليداري عجزه .

إن النبي صلى الله عليه وسلم كان مؤيدًا بالمعجزة كما كان مؤيدًا بالوحي ، وأكبر معجزات الرسول وأبقاها هي معجزة القرآن الكريم التي تحدى الله بها الجن والإنس فرادى أو مجتمعين أن يأتوا بمثله ، كله أو بعضه فعجزوا . ومن معجزاته صلى الله عليه وسلم أيضًا الإسراء والمعراج وغير ذلك من المعجزات التي لا يتسع المقام هنا لتتبعها. وفي هذه القرينة نلفت النظر إلى أن المسيح عليه السلام رفض في أكثر من موقف أن يظهر معجزة وذلك عندما كان يلاحظ تعنت السائلين ، وعلى سبيل المثال فقد جاء في إنجيل متى الإصحاح السادس عشر " وجاء إليه الفريسيون والصدوقيون ليجربوه فسألوه أن يريهم آية من السماء . فأجاب وقال لهم إذا كان المساء قلتم صحو . لأن السماء محمرة . وفي الصباح اليوم شتاء . لأن السماء محمرة بعبوسة . يا مراؤون تعرفون أن تميزوا وجه السماء وأما علامات الأزمنة جيل شرير فاسق يلتمس آية . ولا تعطى له آية إلا آية يونان النبي . ثم تركهم ومضى ". ويعود رودينسون مرة أخرى إلى القرآن فيزعم أن إصرار القرآن ، وإصرار المسلمين على أنه نزل بلسان عربي مبين إنما يخفي وراءه حقيقة وهي أن محمدًا قد انتحل من كتب اليهود والنصارى .

ويذكر مع كاتب مادة القرآن الكريم في دائرة المعارف الإسلامية بأن كلمة قرآن نفسها مأخوذة من الكلمة السريانية قريانا Qeryana ولسنا ندري كيف وصلت الكلمة السريانية إلى محمد صلى الله عليه وسلم ، وكيف استعملها مع وجودها ووجود أمثالها بكل مشتقاتها في اللغة العربية .

إن هذا لهو عين التنطع من رودينسون وأمثاله من المستشرقين ، ولو أننا أخذنا مجرد المشابهات الصوتية بين بعض الكلمات في سائر اللغات لوجدنا منها الكثير والكثير مما يمكن أن يمهد الطريق لمثل زعم المستشرقين هذا في دعوى الانتحال . ولكننا بالرغم من

ذلك لا نستطيع أن نحكم على هذه اللغة بالانتحال ولا لتلك بالأصالة لمجرد وجود مثل هذا التشابه الصوتي . وأهم من ذلك كله اختلاف المعنى بين كلمة قريانا السريانية ، وكلمة قرآن العربية كما بينت في كتابي «القرآن الكريم من المنظور الاستشراقي» .

يعتمد رودينسون في طعنه في صحة خبر كتابة وجمع القرآن الكريم على مقدمة ريتشارد بل لترجمته لمعاني القرآن الكريم ، والتي نشرها فيما بعد ، مع بعض تعديلات مونتجمري وات . إنه يدعى أن القرآن لم يكتب في حياة النبي صلى الله عليه وسلم وأن روايات جمع القرآن متناقضة فيما بينها ، وأنها عند الفحص تؤكد وقوع التحريف في القرآن بالزيادة والنقصان . وهو هنا يوظف آيات مثل آية النسخ في القرآن الواردة في سورة البقرة ١٠٦، وآية النحل ١٠١ ، ﴿مَا نَنْسَخْ مِنْ ءَايَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِنْهَا أَوْ مِثْلِهَا﴾ ، ﴿وَإِذَا بَدَّلْنَا ءَايَةً مَكَانَ ءَايَةٍ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُنَزِّلُ قَالُوا إِنَّمَا أَنتَ مُفْتَرٍ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لاَ يَعْلَمُونَ﴾، والآيتان معناهما واحد ، وهما في الرد على أصحاب العقول الضعيفة من المشركين الذين كانوا إذا رأو تغير بعض الأحكام ناسخها بمنسوخها قالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم : «إنما أنت مفتر» ـ أي كذاب ـ وإنما هو الله تعالى الذي يثبت أو يبدل الأحكام ، وأنه هو الذي يضع آية مكان أخرى في أثناء التنزيل ، وليس بعد تمام الوحي ووقوع البلاغ قط . ليس هناك إذن دليل واحد يقول بأن النبي صلى الله عليه وسلم قد غير ولو آية واحدة في القرآن بعد أن سطر في القراطيس أو حفظ في الصدور . ولكن رودينسون يصر مع ريتشارد بل ووات وأضرابهم على أن القرآن قد خضع لعملية تحقيق أو تنقيح كما يحدث في النصوص التي يكتبها البشر ، إن لم يكن بواسطة محمد نفسه فبواسطة بعض أتباعه ولا بد . ويمعن رودينسون في تجريد القرآن من كل ميزة ، إذ يزعم أن نظم القرآن إنما هو مأخوذ من نصوص التراتيل الكنسية السريانية ، وبالتحديد كنيسة القديس إفرائيم ، أحد آباء هذه الكنيسة .

ويؤيد رودينسون مدعاه هذا بالإشارة إلى قس بن ساعدة العربي النصراني ، الذي يقال أنه كان قسيسًا ، وأنه كان يعظ في سوق عكاظ بأسلوب أدبي وشعري فائق الروعة، وكان كلامه يدور حول الموت والبعث والحساب والجنة والنار . ويرى نفس الكاتب أن هناك من ثم مشابهة بين كلام قس وبين القرآن من حيث الموضوع ومن حيث الأسلوب ، وإن كان يشكك في نفس الوقت في وجود شخصية قس تاريخيًا ، ويزعم أنها محض خيال ، وأن خطبته تلك غير موثوق بنسبتها إليه(ص١٣١).

وفي الرد على هذه النقطة نقول إن المفاهيم والعلوم والتعاليم التي جاء بها القرآن أوسع من أن تحصرها الكتب أو الدواوين ، ناهيك بخطبة أو مجموعة من الخطب ، كخطبة قس بن ساعدة أو شعر أمية بن أبي الصلت الديني ، أو شعر الأعشى الذي كان يهتم بوصف التقاليد والطقوس الكنسية مما لم يظهر له أثر قط في القرآن الكريم وغير هؤلاء من جهابذة خطباء العرب الأقدمين .

يشير رودينسون بعد ذلك إلى الآيات الكثيرة التي تكلمت عن أهل الكتاب ـ يعني اليهود والنصارى ـ وعن أنبيائهم ، والأحداث التي تتصل بهم والتي لم تشر من قريب أو من بعيد إلى كفار مكة كما هو المعتاد في السور السابقة، بحسب ما يراه هذا الكاتب، لا في الواقع ونفس الأمر .

ويشير أيضًا إلى بعض الفرق النصرانية ، فرقة المنوفوسيين Monophysites، والنسطوريين Nestorians والملكائية Melkites، ثم يقول : «لقد وقع الخلاف بين هذه الفرق قديماً حول طبيعة السيد المسيح ، وحول تحديد نوع العلاقة القائمة بينه وبين الله، والتي إذا نظرنا إليها من خارج استبان أنها فوارق غير مهمة إلى حد بعيد جدًا ، وحتى أن مؤيدي هذه الأفكار لا يبدو أنهم كانوا يفهمونها كما ينبغي ، إنهم لم يؤيدوا هذه أو تلك النظرية ، وإنما أيدوا هذا أو ذاك الحزب ، أو هذه الفرقة أو تلك، يعني هؤلاء الذين كسبوا تعاطفهم لأسباب مؤقتة أو عاجلة والتي كانت بعيدة جدًا عن اعتبار الأفكار التي تحملها .وبالتالي فإن محض الكراهية للقوة أو الاستعمار الخارجي هو الذي جعل الشخصية المصرية على سبيل المثال تقف بثبات ضد بيزنطة ، وتدفع بالفلاحين المصريين في وادي النيل إلى اعتناق الاعتقاد المتعصب في الطبيعة الواحدة للمسيح . وأما بالنسبة لمحمد ، فأن هذه الاختلافات الواقعة بين ما قاله بشأن المسيحية والتي لقنها له بطريقة خاطئة بعض النصارى واليهود من غير المثقفين ممن كان قد قابلهم وتحدث إليهم، وما هو عند أهلها ليست بالاختلافات الكبيرة ، إنها لا تعدو أن تكون مثل الاختلافات بين الكاثوليكية والبروتستانتينية ، أو حتى بين الفرق البروتستانتينية نفسها . وإن محمدًا شأنه شأن الأنبياء الذين ظهروا في إفريقيا السوداء في عصرنا الحديث كان يتخيل صوتًا يكلمه ويلقي في روعه بكلام يشبه تمامًا ذلك الكلام الذي سمعه من أهل الكتاب».(ص ١٣١ - ١٣٥).

وهكذا فإن رودينسون يُنَصِّر «محمدًا» صلى الله عليه وسلم ـ أي يجعله نصرانيًّا ـ ويُنَصِّر دينه زورًا وبهتانًا ، وعدوانًا على الحق والعقل والتاريخ ـ ونعوذ بالله من

الضلال ـ وهو بمنطقه الغريب هذا يجعل الصواب خطأ والخطأ صوابًا ، فهو يتكلم عن المسيحية برقة غير معهودة عند اليهود ، ويتجاهل الموقف العدائي التاريخي لليهود من النصرانية والنصارى ، بل من المسيح نفسه وأمه عليهما السلام . وهو يجعل الاختلافات بين الفِرَقِ النصرانية التي بسببها أريقت الدماء وتناثرت الأشلاء وتفرق الناس شيعًا متناحرة ، اختلافات بسيطة وغير جوهرية ، ويجعل الخلاف بين الإسلام وبين النصرانية كالخلاف بين الكاثوليكية والبروتستانتينية ، أو بين الفرق المتفرعة عن الفرقة الأخيرة الأم!! وما ذلك البهت إلا لكون اليهودي الفرنسي يعتبر الإسلام فرقة وليس دينًا، ويعتبر النبي صلى الله عليه وسلم واحدًا من هؤلاء الأنبياء الكذبة الذين ظهروا في إفريقيا السوداء في العصر الحديث. أضف إلى ذلك عداوة هذا الكاتب الماركسي للأديان بشكل عام وعداوته الشديدة للإسلام بوجه خاص .

إن رودينسون بهذا يتصور أنه قد هدم الإسلام وطوح بمحمد عليه السلام بعيدًا عن الوجود وأراح من ثم اليهود وما ذاك إلا لأن الإسلام هو الذي وصف اليهود فأبلغ في وصفهم ونبه الناس على خطرهم وعداوتهم المؤكدة للبشرية ولهداتها ومصلحيها على وجه الخصوص .

ولسنا ندري كيف يسوي رودينسون بين زعماء الفرق النصرانية وبين خاتم النبيين صلى الله عليه وسلم . ليس هذا فحسب ولكنه يتدنى أكثر فيسوي بين رسول الله صلى الله عليه وسلم وبين الأنبياء الكذبة الذين ظهروا في إفريقيا في العصر الحديث ، والذين لم يسمع بهم أحد غيره وأمثاله من الكتاب العنصريين. إن التاريخ لم يسجل لهؤلاء الأنبياء الكذبة أي أثر نافع، أو دعوة صالحة.

كيف وأن المنصفين من الغربيين قد بهرتهم أخلاق محمد وأعجبتهم خلائقه وأفعاله وأثره العظيم في التاريخ الإنساني ، وفي بناء الحضارة الراقية التي انتفعت بها البشرية دون تمييز، ونهلت منها وعبت كل شعوب الأرض دون تفرقة، قال الفيلسوف الروسي تولستوي تحت عنوان «من هو محمد ؟» (إن محمدًا صلى الله عليه وسلم هو مؤسس ورسول الديانة الإسلامية التي يدين بها في جميع جهات الكرة الأرضية مائتا مليون نفس) - على وقت تولستوي - ثم قال : (ولد النبي محمد - صلى الله عليه وسلم - في بلاد العرب سنة ٥٧١ بعد ميلاد المسيح عليه السلام من أبوين فقيرين ، وكان في حداثة سنه راعيًا يرعى الغنم ، وقد مال منذ صباه إلى الانفراد في البراري والأماكن الخالية حيث كان يتأمل في الله وخدمته ـأي طاعته ـ إن العرب المعاصرين له

عبدوا أربابًا كثيرة وبالغوا في التقرب إليها واسترضائها فأقاموا لها أنواع التعبد وقدموا لها الضحايا المختلفة ومنها الضحايا البشرية ومع تقدم سن محمد كان اعتقاده يزداد بفساد تلك الأرباب وأن ديانة قومه ديانة كاذبة وأن هناك إلهًا واحدًا حقيقيًّا لجميع الشعوب.

وقد ازداد هذا الاعتقاد في نفس محمد حتى اعتزم أن يدعو مواطنيه إلى الإيمان باعتقاده الصحيح الراسخ في فؤاده. ثم دفعه إلى ذلك عامل داخلي وهو أن الله اصطفاه لإرشاد العباد وعهد إليه بهدم ديانتهم الكاذبة وإنارة أبصارهم بنور الحق فأخذ من ذلك العهد ينادي باسم الواحد القهار، وذلك بحسب ما أوحى الله إليه وبمقتضى اعتقاده الراسخ).

وقال جيمس متشنر المؤرخ الأوربي المعروف :

(إن محمدا رسول الإسلام – صلى الله عليه وسلم – هذا الرجل الملهم الذي أقام الدين الإسلامي، ولد حوالي سنة ٥٧٠ من الميلاد، في قبيلة عربية كانت تعبد الأصنام، وكان محبًّا للفقراء والأرامل واليتامى والأرقاء والمستضعفين، وقد أحدث محمد بشخصيته الخارقة للعادة ثورة في شبه جزيرة العرب وفي الشرق كله ، فقد حطم الأصنام بيديه وأقام دينًا يدعو إلى الإيمان بالله وحده، كما رفع عن المرأة قيد العبودية التي فرضتها عليها تقاليد الصحراء.

وقال البروفيسور جارسون دي تاس، في كتابه «الإسلام» : إن محمدًا رسول الإسلام عليه الصلاة والسلام ولد في حضن الوثنية، ولكنه منذ نعومة أظافره أظهر بعبقرية فذة انزعاجًا شديداً من الرذيلة، وحبًا قويًّا للفضيلة، وإخلاصًا ونية حسنة غير عاديين، إلى درجة أن أطلق عليه مواطنوه في ذلك العهد اسم الأمين.

ولقد أهاب الفيلسوف الإنجليزي توماس كارليل في إحدى محاضراته عن محمد كبطل ونبي ، والتي طبعت ضمن كتابه الأبطال وعبادة البطولة، ببني قومه من الإنجليز، والأوربيين أن يتوقفوا عن الترويج للكذب ضد محمد صلى الله عليه وسلم ومن أقواله : «لقد أصبح من أكبر العار على أي فرد متمدن أن يشيع أو أن يصغي إلى ما يشاع من أن محمدًا كان كذابًا، كيف يستطيع كذاب لعمري أن يبني أمة تمتد من المحيط إلى المحيط ، وتتأثر به وتحبه إلى هذا الحد. إن الكذب يهدم ولا يبني إلى آخر كلامه، ولقد اعتبر هذا الفيلسوف العظيم محمدا أعظم شخصية في التاريخ بلا منازع . ولو ذهبنا نقتبس من أقوال هؤلاء الغربيين المنصفين لأطلنا الحديث ،ولكننا نكتفي

بهذه الأمثلة ، على أنه مما ينبغي أن نلفت النظر إليه أن هؤلاء العلماء الغربيين قد أسلم بعضهم وحسن إسلامه، واكتفى البعض منهم بمجرد إبداء الإعجاب بشخص النبي صلى الله عليه وسلم وتوقف عند هذا الحد .ولو أن هؤلاء قد تقدموا خطوة فاعتنقوا هذا الدين بقلوبهم كما أدركوا عظمته بعقولهم لتغير تاريخ العالم وأصبح للإسلام في أوربا والغرب شأنًا آخر، ولقلت هذه الحدة وسوء الفهم اللتان تتسم بهما العلاقة بين المسلمين والغربيين.

رودينسون ومعاهدة المدينة :

يحذو رودينسون حذو سلفه مونتجمري وات في التشكيك في وثيقة المدينة التي أبرمها الرسول صلى الله عليه وسلم ، لأول مرة في تاريخ السياسة الدولية ، مع اليهود إقرارًا لمعاني الاخوة الإنسانية والوحدة الوطنية مع الاعتراف الكامل بالحرية الدينية ، وحرية التعبير عن النفس ، يقول المستشرقان بأن هذه الوثيقة ليست كلها أصلية ، بل إنها تعرضت للإضافة فيما بعد ولكن رودينسون على أي حال يعتبر الوثيقة صحيحة تاريخيًا لأنها تحتوي - كما يزعم - على بنود معارضة لوجهات النظر الخاصة بأصل الدولة الإسلامية والتي ألحقت بها فيما بعد . ومع هذا فإنه يقرر بشجاعة أن الرسول صلى الله عليه وسلم قد استطاع بحكمته أن ينشر الإسلام ويعقد الأخوة بين سكان المدينة ، وأنه لم يضطهد اليهود . وأن القرآن الذي نزل بالمدينة قد تكلم باحترام عن اليهودية وعن أنبياء بني إسرائيل ، كما أنه أباح للمسلمين أكل طعامهم ، ومشاركتهم في الأمور المدنية (ص١٥٢-١٥٩) .

ولكن رودينسون سرعان ما يرتد على عقبه إلى المنطقة الوحلة ليخوض فيها ويوغل في الخوض إذ يقول أن اليهود لم يرضوا عن محمد لأنهم كانوا يعتبرونه نبيًا كذابًا انتحل كتبهم وحرف قصص أنبيائهم التي وردت في الكتاب المقدس ، وأن اليهود لم يستطيعوا السكوت عن إعلان هذه الحقيقة مقابل الحياة السياسية الهادئة بل إنهم ناوءوا محمدًا ، إذ هاجموا القرآن وأعلنوا أنه معارض لكتب الأنبياء ، وأنه مليء بالتناقضات ، ومثل هذا الموقف جعل محمدًا يفكر بلا شك في تغيير سياسته تجاه اليهود واتخاذ موقف آخر مخالف تمامًا منهم (ص١٦١) .

هذا كلام فوق أنه مناقض لما سبق أن قاله رودينسون بشأن موقف الرسول صلى الله عليه وسلم فإن فيه اعترافًا بأن اليهود هم الذين بدءوا بالهجوم على الإسلام وبمناوئة المسلمين ، وهم الذين خرجوا على معاهدة المدينة .

ويستعرض رودينسون ما جاء في سيرة ابن هشام عن غزوة بدر مركزًا على ما قاله سلمة بن سلامة للمسلمين الذين خرجوا لاستقبال العائدين من بدر وتهنئتهم بالنصر كما سنذكره ، متخذًا منه موقفًا مأساويًا يصور فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمين كمصاصي دماء ، قتلة وسفاحين .

إنه يترجم كلام سلمة من العربية إلى لغته الفرنسية بطريقة توحي بأن المسلمين دمويون يقول بحسب الترجمة الإنجليزية : «لماذا تهنئوننا ، إننا لم نقابل إلا عجائز صلعًا (يقصد المشركين) لقد قطعنا حلوقهم كما تنحر إبل الأضاحي ، وهي معلقة من أرجلها ، فتبسم النبي صلى الله عليه وسلم ثم قال :«نعم يا ابن أخي هؤلاء كانوا هم الزعماء» .

والترجمة كما نوهت ، توحي بأن المسلمين قد علقوا الكفار من أرجلهم أحياء ثم ذبحوهم بطريقة وحشية . أما الحديث كما جاء في سيرة ابن هشام فمختلف كثيرًا عما جاء في الترجمة الإنجليزية والنص هو : « ... ثم ارتحل رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى إذا كان بالروحاء لقيه المسلمون يهنئونه بما فتح الله عليه ومن معه من المسلمين ، فقال لهم سلمة بن سلامة ، كما حدثني عاصم بن عمر بن قتادة ، ويزيد ابن رومان ـ : ما الذي تهنئوننا به ؟

فوالله إن لقينا إلا عجائز صلعًا كالبدن المعلقة ، فنحرناها ، فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال : أي ابن أخي ، أولئك الملأ !!

قال ابن هشام : الملأ : الأشراف والرؤساء[1] . ومعنى هذا الكلام الذي غاب فهمه على المستشرق رودينسون وأمثاله هو أن المعركة قد انتهت بسرعة و لم يكن الوقت الذي استغرقته إلا كالوقت الذي يستغرقه ذبح بدن الأضاحي المعدة بالفعل للذبح ، وأن الله تبارك وتعالى هو الذي أعان المسلمين على قتل أئمة الكفر ، وقادة الحرب الظالمة ضدهم ، إن قتل هؤلاء الكفرة إنما جاء بأمر الله وتوفيقه في وقت لو تمكنوا هم فيه من المسلمين لأبادوهم ولقضوا من ثم على الإسلام من على وجه البسيطة . لقد كان هؤلاء الكفار هم المحرضون على الحرب ، الساعون إليها بخيلهم ورجالهم ونسائهم فأذاقهم الله وبال أمرهم ، فلقوا مصرعهم بأيدي الذين حقروهم ، وطاردوهم ، ولاحقوهم واستولوا على أمتعتهم وأموالهم ظلماً وعدواناً .

---

(١) سيرة ابن هشام، ج٢، ص٢٨٠ .

يضيف رودينسون إلى ذلك ما جاء بشأن قتل عقبة بن أبي معيط حين أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بقتله فقال : فمن للصبية يا محمد ؟ قال : النار.(٢٠٨) يقول في التعليق على هذه الحادثة أن محمدًا لم ينس ما فعله به أعداؤه فلم يرحمهم عندما تمكن منهم . يقصد الكاتب بالطبع من هذا الكلام ، أن يظهر النبي صلى الله عليه وسلم في صورة المنتقم الحاقد ، الذي لا يستطيع أن يعفو عمن ظلمه أو يسامح من آذاه . إن تسامح النبي صلى الله عليه وسلم وحلمه لمضرب الأمثال حقًا ، ولكن مسامحة أهل الشر الذين طبعوا على الأذى ، ولا ترجى من شرورهم السلامة كعقبة بن أبي معيط ، عدو الله ورسوله ، وصاحب التاريخ الطويل في الكفر والخساسة ، لا يكون تسامحًا بل تساهلاً وتفريطًا في الحق ، وتهاونًا في صد الباطل وأهله ، وتهاونًا كذلك في حماية الضعفاء من الأقوياء وذوي الحيلة . أما التسامح مع من يرجى إصلاحهم فخلق كريم مثله رسول الله صلى الله عليه وسلم أحسن تمثيل عندما فتحت له مكة أبوابها ، وخضع له أهلها ، وقال لهم وقد توقعوا منه أن ينتقم منهم لنفسه ولأعزة أهله وللمسلمين لكنه قال لهم ما حفظه التاريخ عنه ووعاه ثم أداه إلينا «اذهبوا فأنتم الطلقاء» ، وإذا كان النبي صلى الله عليه وسلم قد أمر بقتل عدد محدود من رءوس الكفر والشر والعناد ، فإنه قد تسامح بالفعل مع أمة عظيمة من الناس في مكة، وكان تقديره صلى الله عليه وسلم في الموقفين نعم التقدير، وتدبيره في كلتا الحالتين هو أعظم التدبير ، كما كان حكمه فيهما هو عين الحق والصواب .

يزعم رودينسون بالإضافة إلى هذا أن محمدًا ، والذي يسميه هنا «بالنبي المسلح» ، قد أصبح بعد انتصاره في بدر ميالاً إلى الانتقام من أعدائه وإلى تصفية المعارضين له بدنيًا ، لقد أعطته هذه الحرب قوة وثقة في النفس ، وعلى الجانب الآخر فقد أصبح أيضا حساسًا جدًا لأي هجوم عليه ، لذلك فإنه لم يتحمل هجوم مثقفي اليهود في المدينة وسخريتهم الدائمة منه، ولهذا السبب فإنه أظهر العداء لهم وبدأ يخطط للتخلص منهم فكان يخالفهم في كل شيء تقريبًا ، فعلى سبيل المثال فإنه بعد أن أمر أصحابه بصيام يوم عاشوراء وهو العاشر من شهر محرم ، وهو يوم كيبور عند اليهود ويوافق العاشر من شهر تشرين - أكتوبر - عاد فغير رأيه وذلك عندما غضب على اليهود ، إذ جعل صيامه مباحًا وليس واجبًا ، بل إنه قد أوصى المسلمين بأن يخالفوهم فيه ، بمعنى ألا يصوموا في نفس اليوم فقط ، بل يتقدموه بيوم أو يتأخروه بيوم[١] .

(١) الشوكاني، نيل الأوطار، ج٤، ص٢٤٠ - ٢٤٥ .

وفي قرينة الرد على رودينسون ينبغي أن ننبه على أن صوم عاشوراء على وجه الخصوص كان الأمر به في أول السنة الثانية للهجرة ، وفي نفس السنة فرض شهر رمضان ، فعلى هذا لم يقع الأمر بصوم عاشوراء إلا في سنة واحدة ، ثم ترك أمر صيامه إلى المتطوع ولذلك صار صيامه تطوعًا وليس واجبًا ، ويقال أنه لم يكن واجبًا قط ، ومن الأحاديث الواردة في فضل يوم عاشوراء سئل رسول الله صلى الله أي الصيام بعد رمضان أفضل قال :«شهر الله المحرم». (رواه الجماعة إلا البخاري عن أبي هريرة) ، وعن أبي قتادة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «صوم يوم عرفة يكفر سنتين ماضية ومستقبلة ، وصوم يوم عاشوراء يكفر سنة ماضية» . (رواه الجماعة إلا البخاري والترمذي) .

وعن عائشة قالت : «كان يوم عاشوراء يومًا تصومه قريش في الجاهلية . وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصومه ، فلما قدم المدينة صامه وأمر الناس بصيامه ، فلما فرض رمضان ، قال : من شاء صامه ومن شاء تركه». (متفق عليه) .

وعن أبي موسى قال : كان يوم عاشوراء تعظمه اليهود وتتخذه عيدًا ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «صوموه أنتم». (متفق عليه) .

ومما استدل به على عدم وجوب صيام هذا اليوم ما روي عن معاوية بن أبي سفيان قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : «إن هذا يوم عاشوراء ، ولم يكتب عليكم صيامه وأنا صائم فمن شاء صام ومن شاء فليفطر». (متفق عليه).

وقال عليه الصلاة والسلام : «صوموا يوم عاشوراء وخالفوا اليهود ، صوموا قبله يومًا وبعده يومًا».

ثم يعرض الكاتب بعد ذلك لواقعة بني قينقاع التي أشعل اليهود نارها وتولوا كبرها عندما كشف أحدهم عورة مسلمة كانت تشتري من محل صائغ يهودي فثار أحد المسلمين وحاول أن ينتقم للمرأة فقتله اليهود لأنه كان في حيهم ، فاتخذ الرسول صلى الله عليه وسلم الأسباب لمعاقبة يهود هذا الحي، يقول رودينسون :«أن محمدًا قد اتخذ هذه الحادثة ، التي كان يمكن أن تحل بغير الحرب ، ذريعة إلى تصفية اليهود ، إذ أنه أصر على حرب بني قينقاع وحصارهم وتجويعهم داخل الحصن الذي لجأوا إليه» . (ص١٧٢-١٧٣)، وعلى هذا المنوال المنحاز يعرض رودينسون الحوادث التي وقعت بين الرسول صلى الله عليه وسلم وبين يهود المدينة .

لقد تناقض الكاتب مع نفسه عندما ذكر في أول الباب أن محمدًا لم يضطهد اليهود، ولكنه يزعم هنا أنه قد رسم خطة لتصفيتهم. هذا هو أكبر وأهم الدوافع من وراء تأليف رودينسون لهذا الكتاب الذي بين أيدينا لأنه أراد به أن يبين للأوربيين أن محمدًا قد اضطهد اليهود ، وأنه نفاهم من الأرض وحردهم من ممتلكاتهم وحكم فيهم بالقتل والترويع وذلك حتى يضيف إلى سجل المبالغات اليهودية حوادث وأرقامًا أخرى ملفقة . إن الدعاية اليهودية تحاول أن تصور العالم كله على أنه معاد لليهود ، وعلى أن اليهود مضطهدون دائمًا عبر العصور وعلى امتداد العالم . لقد تغافل الكاتب أن اليهود هم الذين نقضوا العهد ، وأخلوا بشروط المعاهدة المبرمة بينهم وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم والتي اعترفت لهم بحق المواطنة الكاملة وبحرية العقيدة وما يتصل بها ، وكانوا هم الذين تعاونوا مع أعداء الإسلام في الخارج وحاولوا ضربه في الداخل وهم الذين قادوا حركة المنافقين ضد الرسول صلى الله عليه وسلم في المدينة . وبالرغم من هذا كله فإن النبي صلى الله عليه وسلم وكذلك المسلمين لم يسبوا أنبياءهم أو يتهجموا على كتبهم أو معتقداتهم بل ظلوا يحترمون ذمتهم ويوفون بعهودهم معهم ويقفون بجانبهم عند المحنة ، كما حدث عندما اضطهدهم الكاثوليك في أسبانيا ، وأغلقت أوربا أبوابها دونهم، فقد استقبلهم العالم الإسلامي كله ، ووطنهم وتعامل معهم تحت مبدأ ، «لهم ما لنا وعليهم ما علينا». وبفضل سماحة الإسلام ظهرت منهم قيادات عظيمة وعلماء وفقهاء وفلاسفة كبار.

اتهام رودينسون للعرب بالشهوانية :

تكلمنا فيما سبق عن تفسير رودينسون المغرض لحادثة الإفك ، كما ألمحنا فيما سبق كذلك إلى مغامزه المتفحشة حول سلوك الرسول صلى الله عليه وسلم ، وحرصه دائمًا على أن يصور العرب بشكل عام بأنهم أمة لا يشغلها أي شيء أكثر من الانغماس في الشهوات ، وأنهم لا يتميزون من بين الأمم إلا بالتسيب الجنسي ، وتأكيدًا منه لهذه الفرية فإنه عندما يعرض لقضية الإفك - يعني تلك التهمة الباطلة التي زورها ودورها فريق من الآثمين ضد السيدة عائشة بنت الصديق وزوج الصادق الأمين- يعرضها في إطار أو سلسلة من الأكاذيب التي تصف العرب بالميل إلى الزنا والسفاح والانغماس في الشهوات والملذات ، وفي هذا الموضع من الكتاب يقتبس رودينسون ما قاله كارلو ليفي عن فلاحي لوكانيا : «إن حب الجنس أو الميل إليه

والانجذاب الشديد نحوه يعتبره قرويو لوكانيا قويًا كقوة الطبيعة ، تلك القوة التي لا يستطيع أحد مقاومتها مهما كانت مقدرته ، عندما يرى رجل وامرأة نفسيهما في مكان واحد معًا ، ودون رقيب ، فإنهما لا يمكن أن يبقيا هكذا دون أن يرتمي أحدهما في حضن الآخر في التو والحال؛ لأنه لا يوجد أي قدر من الثبات أو الخمود ، أو العفاف أو أي مانع أو أي عقبة يمكن أن تمنعهم من ارتكاب عملية الزنا . وإذا حدث لأي سبب أنهم لم يتمكنوا من الالتقاء جنسيًا ، فإنهم يشعرون وكأنهم ارتكبوه بالفعل . لأن مجرد وجودهما معًا في مكان واحد دليل في حد ذاته على أنهما قد مارسا الجنس معًا (ص٢٠٠).

إننا لا نحب أن نطيل الكلام في هذا الموضوع أو نتتبع غمزات ولمزات هذا الكاتب الذي يستسهل الخوض في أعراض النماذج الإنسانية الرفيعة ، وقادة الطهر والفضيلة في العالم . وما أسهل عليه وعلى أمثاله أن يجعل الجنس هو سبب الخلق والبقاء وهو نداء الطبيعة ، وهو المحفز على الابتكار والإبداع إلى آخر تلك المفتريات التي تكتظ بها جعبته . ويكفي أن يعرف بشكل عام من خلال ما ذكرناه كمثال كيف تناول الكاتب حادثة الإفك وفي أي قرينة وضعها ، ولأي غرض يوظفها .

ويمعن رودينسون أكثر في زعمه إذ يقول بأنه انطلاقًا من هذه الحادثة ـ يعني اتهام السيدة الطاهرة عائشة ـ قد جاء محمد بتعاليم تطالب بأربعة شهود لإثبات دعوى الزنا، وهو شيء يستحيل حدوثه . وهو يغمز بهذا إلى أن القرآن إنما هو من تأليف محمد وأن محمدًا كان يكتبه ليبرر به أفعاله ، أو ليعبر به عن أشياء في نفسه يعطيها قوة وحجية بإسنادها إلى الله، بعبارات أخرى فإن الآيات التي نزلت بشأن حادثة الإفك لفقها رسول الله صلى الله عليه وسلم لتبرئة زوجه السيدة عائشة . وما ذكرناه بشأن هذه الحادثة يكذب دعاوى هذا المتجرئ.

وفاة النبي صلى الله عليه وسلم :

يختتم رودينسون الباب السادس من كتابه ، بالكلام عن وفاة النبي صلى الله عليه وسلم وما حدث بين الصحابة على أثرها في سقيفة بني ساعدة من خلاف في الرأي وكالمعتاد فإنه يقرأ السيرة بمنظوره الخاص والمعتم ويحاول دائمًا أن يصبغها بآرائه ورؤاه الشخصية وينزلها على منطقه هو لينتهي من خلال عرضها إلى النتيجة التي رتبها مسبقًا، بل وكانت هي الدافع من وراء تأليفه لهذا الكتاب وكتبه الأخرى التي تناول فيها الإسلام . وهذه النتيجة تتلخص في أن محمدًا يعتبر نبيًا محليًا وأنه مؤسس فرقة لا

دين ، وأن مادة القرآن ، منتحلة من كتب اليهود والنصارى ، بل وأن القرآن متأثر بأناشيد وتراتيل الكنيسة السريانية في أسلوبه وربما في طريقة أدائه (ص٢٩٠ - ٣٠٠).

ودون الدخول في التفاصيل والأضاليل الأخرى التي يشتمل عليها هذا الباب من الكتاب فإن رودينسون لم يبد موضوعيًّا في عرضه وتحليله معًا ، إنه يجهل اللغة العربية و لم يعتمد إلا على مصادر ثانوية .

محمد في نظر الغربيين المحدثين :

وفي الباب السابع والأخير من كتابه وهو بعنوان «الانتصار على الموت».. يتحدث رودينسون عن انتصار دعوة الرسول صلى الله عليه وسلم وعن انتشار الإسلام في الآفاق بسرعة وعن إقبال الناس عليه ، وعلى حب المسلمين للنبي صلى الله عليه وسلم وتقديس آثاره . وعلى انتشار القرآن في الأصقاع وإقبال الناس على حفظه ودراسته ، وعلى تبني هذه الشعوب الغفيرة للغة العربية وهجر لغاتهم الأم ، ومن جهة أخرى فإنه يشير إلى مواقف النصارى منه صلى الله عليه وسلم فيقول : «بينما يقدس المسلمون محمدًا (صلى الله عليه وسلم) فإن النصارى يعتبرونه أكبر الأعداء ، وزعيم الأدعياء ويرون فيه كذلك نموذجًا متجسدًا للشر والفسوق . وبينما يعتبر المسلمون محمدًا أكمل رجل في التاريخ، يعتبره بعض الناس من غير المتدينين بدين ، أو من المتدينين بغير الإسلام رجلاً معتادًا ، عاش عيشتهم وعمل بمثل عملهم ، وقد أعطى علماء الغرب لمحمد عدة صور مختلفة ، فالكونت دي بولينفليرز كان يعتبره مفكرًا حرًّا مبدعًا لديانة العقل ، وذلك في أوائل القرن الثامن عشر . وقد اتخذ فولتير محمدًا كسلاح ضد المسيحية عن طريق إعطائه شخصية دجال ساخر، ولكنه بالرغم من ذلك قد استطاع أن يقود أمته إلى طريق المجد ، وذلك بمساعدة قصص خيالية نسجها لهم من وحي خياله. ولقد اعتبره كتاب القرن الثامن عشر بشكل عام داعية لديانة الطبيعة والعقلانية ، والتي هي أبعد بكثير وأسمى من ديانة الصليب المجنونة. وقد مَدَحَتْ محمداً صلى الله عليه وسلم وَنُوهَتْ بعلو قدره الأكاديميات الغربية فالشاعر الألماني جوته على سبيل المثال قد كتب فيه شعرًا رائعًا وممتازًا ، واعتبره مثالاً أو نموذجًا للعبقرية الفذة ، وقارنه في شعره بنهر عظيم ومتدفق دائمًا بقوة ، ذلك النهر الذي نادت عليه جميع أخواته من الأنهار والجداول ليساعدها حتى تبلغ البحر الذي ينتظر قدومها عليه. وفي هذا الشعر يقول جوته أيضًا إن محمدًا هو المظفر الملكي المهيب الذي لا يقاوم

ولقد كان هو الذي حمل تلك الأنهار والجداول إلى مجرى البحر العظيم .

Und so tragter seine Bruder,
Seine Schatze, seine kinder
Dem erwartenden Erzeuger
Freudebrausend an das Herz.

(And thus he carries his brothers, his treasures, his children, all tumultuous with joy, to their waiting Parent's bosom. [Trans., Dr David luke])

وتعني هذه السطور الشعرية في اللغة العربية : «وهكذا حمل (أي محمد صلى الله عليه وسلم) إخوانه ، وكنوزه ، وأطفاله ، وكل مضطرب بفرح ، إلى حضور الآباء التي كانت تنتظرهم». ولقد وضع الفيلسوف الإنجليزي (كارليل) هذه النفس العظيمة في مصاف أبطال الإنسانية الذين أضاءت بهم الدنيا وأومضت في داخلهم الشعلة الإلهية المقدسة .

وبعد كارليل عكف الكتاب الغربيون المعنيون على كتابة سيرته (صلى الله عليه وسلم) من مصادرها العربية فعلى سبيل المثال فقد اعتبره المستشرق هوبرت جريم ، في نهاية القرن التاسع عشر اشتراكيًا حاول أن يفرض الإصلاح الاجتماعي والمالي على قومه بالقوة ، وذلك بمساعدة قدر يسير جدًا من الحكايات الأسطورية ، والتي اخترعها محمد ليرغب بها الأغنياء ، حتى يعطوه تأييدهم .

وبينما يحاول بعض المستشرقين أن يخففوا من حدة لهجتهم ويعدلوا من وجهة نظرهم لتصبح إلى حد ما أكثر موضوعية ، نجد الأب اليسوعي البلجيكي هنري لامنز، والذي كان له إلمام واسع بالمصادر الإسلامية ، مع كراهية قاتلة للإسلام ، لا يزال يعبر عن شكه المرير في إخلاص محمد .

أما المستشرقون والعلماء الروس فإنهم لم ينتهوا بعد إلى رأي قاطع يقررون فيه طبيعة دعوة محمد ، هل كان محمد رجعيًا أم تقدميًا ؟ (وبالطبع فقد سقط الاتحاد السوفيتي وسقطت الشيوعية) هل كان قوميًا أم اشتراكيًا ؟ ، وحتى الشيوعيون في البلدان الإسلامية كانوا يدعون محمدًا لأنفسهم، ويحاولون جذب دعوته نحو أهدافهم ، وهكذا فقد صور كل واحد من هؤلاء محمدًا كما يراه وكما يرغب فيه أن يكون ، كل واحد قد أخذ من دعوته ما يناسب فكره وتوجهاته ، وفي الوقت نفسه فإنه لا يلتفت إلى ما لا يعنيه منه (ص ٣١١ ، ٣١٢) .

الخـــاتمـــــــة

وإلى هذا الحد نعتبر أننا قد وصلنا إلى الخاتمة في عرض ونقد كتاب مكسيم رودينسون وإذا كان لنا أخيرًا أن نصف هذا الكتاب بكلمة مختصرة قلنا إنه كتاب غير موضوعي وأنه ينم بوضوح عن حقد صاحبه على الإسلام والمسلمين وعلى جهله باللغة العربية ، ومصادر السيرة الصحيحة . وأن رودينسون قد استعان في هذا الكتاب بمعطيات علم النفس الغربي الإلحادي على ترويج أفكاره الزائفة حول الرسول صلى الله عليه وسلم وحول رسالته العالمية الخاتمة .

لقد بينا بالأدلة الساطعة والقاطعة أن محمدًا صلى الله عليه وسلم هو المثل الأعلى للبشرية ، وأنه كان ولا يزال أعظم شخصية عرفها التاريخ الإنساني كله . لم تشغله صلى الله عليه وسلم عن الدعوة والمبادئ المثلى شهوات أو مغريات ، ولم يكن للمرأة إلى قلبه صلى الله عليه وسلم من سبيل غير السبيل الذي شرعه الله تبارك وتعالى . لقد اكتملت كل صفات العظمة والكمال في شخص رسول الله صلى الله عليه وسلم . لم يكذب النبي قط ولم يدع ما ليس له أبدًا . وقد بينا خطأ رودينسون في خلطه بين مفاهيم النبوة والكهانة والشعر ، وبرهنا على أن النبوة تختلف عن الكهانة وأن محمدًا صلى الله عليه وسلم لم يكن كاهنًا ولا شاعرًا وإنما كان نبيًّا رسولاً ، بنى دين الله على الحق والصدق ، وأنشأ الأمة الإسلامية على دعائم التوحيد والأخلاق الفاضلة ، والتشريعات العادلة ، وعلى المحبة والإيثار والتسامح والأخوة التامة بين المسلمين بعضهم وبعض ، وبين المسلمين وغير المسلمين . وقد أوضحنا بالأدلة أن القرآن هو كلام الله تعالى تلقاه محمد وبلغه كما نزل ، لم يبتدع فيه حرفًا ولا عبارة ، لم يحذف منه شيئًا ولم يضف إليه شيئًا كذلك ، ولم يغير في نظامه أو سياقه وترتيبه ، سواء بالنسبة للآيات أو السور ، وأن كتابة القرآن ، على ما تسنى من أدوات قد تم في حياة الرسول صلى الله عليه وسلم ، و أنها كانت مواكبة لنزوله فقد ذكرنا أن النبي صلى الله عليه وسلم قد اتخذ كتابًا للوحي ، كان يملي عليهم ما نزل عليه من كتاب الله تعالى ، دون توان أو إمهال وأنه كان يطلب من كتاب الوحي أن يقرأوا عليه ما كتبوه زيادة منه صلى الله عليه وسلم في الاستيثاق.

وكان النبي صلى الله عليه وسلم يحتفظ عنده بما كتبه الكتاب حتى اكتمل نزول القرآن وتم الكتاب ، ومن هذه المواد المفرقة جمع القرآن الكريم ووضع في نسخة من مادة واحدة ، وهي الورق وذلك في عهد أبي بكر الصديق رضي الله عنه ، ثم في مصحف إمام في عهد الخليفة عثمان بن عفان رضي الله عنه ، وقد روعيت في كتابة هذا المصحف قراءة العرضة الأخيرة. وقد تم الجمع في كلتا الحالتين بمعرفة الصحابة واتفاقهم ، ومهما كان وضع الروايات الضعيفة التي تهاون بعض العلماء في إثباتها في كتبهم عند الكلام عن جمع القرآن ، فإن الحكم الأكبر الذي لا ينبغي أن يغفل أو يتغافل عنه في موضوع جمع القرآن هو حفظ الأمة له وتعبدهم به واحتكامهم إليه في جميع شئونهم ، وتأسيس الدولة على قاعدته . والروايات كثيرة في أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يقرأ في الصلاة بالسور الطوال والسور القصار ، وأنه كان يأمر بوضع الآية في السورة بحسب توقيف جبريل له عليهما السلام ، وكذلك الشأن بالنسبة لترتيب السور ومما ينبغي الإشارة إليه أن الصحابة كانوا يحفظون القرآن عن ظهر قلب ويتعبدون به ويقرءونه آناء الليل وأطراف النهار .

وبناءً على هذا كله يتبين بجلاء بطلان دعوى رودينسون وأشياعه من المستشرقين بأن محمدًا صلى الله عليه وسلم انتحل مادة القرآن أو أسلوبه أو ألفاظه ، من كتب اليهود والنصارى أو كتب غيرهم ، وقد بينا بالبرهان القاطع أن هذه الدعوى لا يؤيدها واقع البيئة العربية التي عاش فيها محمد صلى الله عليه وسلم ، ولا تاريخ كتب اليهود والنصارى التي لم تترجم إلى اللغة العربية إلا بعد قرون من وفاة النبي صلى الله عليه وسلم . ولا يقل عن هذا أهمية أن نستحضر في الذهن أن دعوى الانتحال المزعوم تتنافى مع طبيعة شخصية النبي صلى الله عليه وسلم وتكوينه ورسالته .

لقد راعى محمد صلوات الله وسلامه عليه في دعوته حق الله وحق العباد ، وأبان ورتب لكل ذي حق حقه ، ولم يبن مجتمعه على الحقد أو العنصرية بل على العكس تمامًا فإنه قد أعطى للمخالفين له الحق في أن يخالفوه ، وفي نفس الوقت يعايشونه ويعاملهم ويعاملونه دون حساسية أو حرج أو توجس بسبب اختلاف الدين أو الجنس أو العرق أو اللون أو اللغة ، ولذلك فإن التشريعات الخاصة بأهل الذمة تعد سبقًا ومكرمة للإسلام ومنة منه وفضلاً على الإنسانية كلها وليست كما يدعي متعصبو الغرب عيبًا أو نقصًا في تعاليمه أو تعصبًا من جهة أهله .

وأخيرًا وبناءً على الدراسة المستفيضة فإنه من الصعب تصنيف كتاب محمد

لرودينسون تصنيفًا علميًّا ومنهجيًّا واضحًا ، فإنه ليس كتاب تاريخ لأنه لا يعتمد على حقائق تاريخية من مصادرها الأصيلة في التاريخ الإسلامي ، وليس هو كتاب في السيرة النبوية لأنه لم يلتزم بمصادرها ومعطياتها . وليس هو كتاب علم نفس لأنه لم يلتزم بمنهج علم النفس ولا راعى حدوده ، ثم إنه طبقه بطريقة صناعية على نموذج لا يتكرر وهو رسول الله صلى الله عليه وسلم ، الذي لا يمكن أن يصنف ضمن عينات أو مجموعات وقوائم علم الدراسات النفسية .

والكتاب لا يمكن أن يصنف كذلك على أنه قصة أو رواية لأن كاتبه لم يلتزم أساسًا بأصول الرواية أو القصة ومعاييرهما الفنية ولا نراه قصد إلى ذلك .

وخلاصة ما انتهينا إليه في هذا الكتاب ، أن كتاب رودينسون خليط سيئ من الآراء والأفكار ، والتفسيرات المادية الباطلة لنصوص الكتاب والسنة ، والتشويه المتعمد والمغرض لحقائق التاريخ .

هذا وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف الخلق أجمعين .

الدكتور محمد محمد أبو ليلة
أرض الجولف . مصر الجديدة . القاهرة

ملخص باللغة الإنجليزية
عن كتاب رودينسون والمشكلة التي أثارها
في الأوساط العلمية في مصر

The American University in Cairo has dropped from its curricula a book entitled Mohammed, written by Maxime Rodinson, because of charges that it makes false allegations against the prophet of Islam. Copies of an English-language summary that were distributed to students have also been withdrawn following a decision taken by Higher Education Minister Moufid Shehab. Shehab ordered the book thrown out after columnist Salah Montasser published an article in Al-Ahram on 13 May demanding that the book be banned. "We cannot remain with folded arms when a university in Egypt, even if it is a foreign university, teaches Muslim students a book that insults their creed and Holy Book. This is neither acceptable nor justifiable." Montasser wrote that "freedom of education does not mean that thousands of books are ignored in favour of a book that insults Islam." Montasser reproduced excerpts from the book to show that it does injustice to the religion. The mufti of the republic also published an article in the Arabic-language press, providing documentation refuting Rodinson's allegations. Moreover, Sheikh Mohamed Sayed Tantawi, grand imam of Al-Azhar, suggested that a law be enacted to empower Al-Azhar, the world's leading Islamic institution, to examine all books dealing with Islam before they are circulated in Egypt. "It is imperative to promulgate this law in order to uphold Islam and its tenets," said Tantawi. Shehab told Al-Ahram Weekly that as soon as he read Montasser's column, he decided that the book should not be taught or circulated at AUC and ordered that copies be withdrawn from students. "Not only did AUC respond positively," Shehab said, "but its president, Frank Vandiver, paid me a visit to convey the university's apologies for an unintentional, individual error as well as

assurances that AUC would never harbour the intention of directing insults at Islam."

A statement issued by AUC said: "With reference to Mr Salah Montasser's daily column on Wednesday, 13 May in Al-Ahram newspaper, the American Univers-

ity in Cairo has responded to official requests and acted to remove the book Mohammed by the French author Maxime Rodinson. The volume has been available in Egypt since its publication in the early 1970's." Shehab said that his decision was based on the fact that "it is the constitutional duty of the Ministry of Higher Education to supervise university education," be

it public or private. Shehab explained that all universities have the right to choose the curricula that are taught to students and the professors who teach them. And, he added, "it is up to the professor and his conscience to choose the books that he will use in teaching his course. It is very difficult to interfere with the thinking of professors".

On the other hand, Shehab said that if students are displeased with what they are being taught, then they have the right to complain to the university's management. "But this rarely happens," he added. Shehab said the AUC professor "obviously had no bad intentions. He certainly was not trying to force the students to embrace the ideas that are contained in the book." Shehab conceded that the book has been in circulation in Egypt for the past 15 years and taught at AUC for about seven years. "As far as the ministry is concerned, the whole matter is closed," he said. AUC sources said the university's library had four copies of the book, which have been withdrawn from circulation. It was on the reading list of a political-science course in the early 1970's and a history course in the early 1990's, the same course the book was being studied on in this semester. A source close to the professor said he invited his students to submit critical reviews of the book's content. "Students were required to criticise the book from whatever perspective they wished. The professor certainly did not praise the book and did not express a personal opinion. He even suggested other titles written by Muslim scholars so that the students might be exposed to ideas other than those the book advocates," the source said. According to the same AUC source, the professor has great respect for Islam and would defend it, whenever necessary. The source added that the professor had been involved, in his home country, in many battles defending Islam and Muslims against racism and media vilification of Islam. The professor has the support of many of his students. One of them, a Saudi Arabian, told the Weekly that the professor, while assigning the book to students, said that "it is not an Islamic book and may prove to be provocative and offending, so it will be easy for you to criticise. He provided us with the titles of Islamic references, so that we could build up a

good argument against the book." The professor told the students that "he did not care if they tore

Rodinson apart as long as they put forward a good argument," the Saudi student said. Another source, however, said that the problem began when a student complained about the book to a friend, who is an alumnus. The friend, along with 46 other alumni, wrote a petition to the dean of the school of humanities and social sciences, requesting that "corrective action" be taken. A copy of the petition was sent to Montasser.

Al-Ahram Weekly Issue No. 378 (1998)

Date: 21-27May 1999

obeikandl.com

المصادر العربية

القرآن الكريم .

كتب الأحاديث .

كتب العهدين القديم والجديد .

ابن الأثير ، الكامل في التاريخ . بيروت - دار صادر - ١٩٦٦ .

ابن الأثير ، النهاية . بيروت ، المعارف .

الإيجي ، عبد الرحمن بن أحمد . المواقف في علم الكلام , القاهرة . مكتبة المتنبي .

أبو حيان التوحيدي . المقابسات . تحقيق حسن السندوبي . الكويت . دار سعاد الصباح . ١٩٩٢.

ابن تيمية ، تقي الدين أبو العباس أحمد ، كتاب النبوات . المملكة العربية السعودية - مكتبة الرياض الحديثة،١٣٤٦هـ .

الجاحظ ، أبو عثمان عمرو بن بحر . البيان والتبيين . بيروت . دار الكتب العلمية.

الجرجاني ، علي بن محمد السيد الشريف ، كتاب التعريفات. تحقيق عبد المنعم الحفني. القاهرة . دار الرشاد . ١٩٩١ .

ابن جني ، أبو الفتح عثمان. الخصائص . القاهرة . الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م .

ابن الجوزى ، أبوالفرج عبد الرحمن ،صفة الصفوة ، تحقيق طارق محمد عبد المنعم الاسكندرية ،دار ابن خلدون.

الخياط ، أبو الحسين عبد الرحيم ، كتاب الانتصار والرد على ابن الروندي الملحد ، مع مقدمة وتحقيق وتعليقات للدكتور نيبرج . القاهرة - مكتبة الدار العربية للكتاب -١٩٩٣.

دراز ، محمد عبد الله . مختصر مدخل إلي القران الكريم :ترجمة محمد عبد العظيم علي . القاهرة دار الدعوة، ١٤١٧هـ١٩٩٦م .

الذهبي ، شمس الدين .تاريخ الإسلام . مكتبة القدسي ١٣٦٧ .

الزرقاني ، محمد عبد العظيم ، مناهل العرفان في علوم القرآن . القاهرة . دار إحياء الكتب العربية ، ١٩٨٠ .

السيوطي ، الحافظ جلال الدين عبد الرحمن ، الإتقان في علم القرآن ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم . القاهرة . مكتبة ومطبعة المشهد الحسيني . ١٣٨٧ هـ - ١٩٦٧م.

الشهرستاني ، أبو الفتح محمد بن عبد الكريم ، الملل والنحل ، بهامش الفصل لابن حزم القاهرة . مطبعة صبيح . ١٩٦٤ م .

الشوكاني ، محمد بن علي بن محمد ، نيل الأوطار شرح منتقى الأخبار . القاهرة - المكتبة التوفيقية .١٩٦٤ .

ابن عبد البر ، أبو عمر يوسف. جامع بيان العلم وفضله وما ينبغي في روايته وحمله ، قدم له الأستاذ عبد الكريم الخطيب .القاهرة. المكتبة الإسلامية ١٤٠٢- ١٩٨٢.

ابن عطية ، عبد الحق. المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز . قطر . دار إحياء التراث . ١٤٠٩ هـ - ١٩٨٩ م .

الغزالي ، الإمام أبو حامد ، إحياء علوم الدين . بيروت . دار الكتب العلمية . ١٤١٢ هـ- ١٩١٢م .

---------- ، تهافت الفلاسفة . تحقيق سليمان دنيا . القاهرة . دار المعارف . ١٣٩٢ - ١٩٧٢ .

المسعودي، أبو الحسن علي بن الحسين بن علي . مروج الذهب . بيروت . المكتبة العصرية . ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨م .

ابن منظور ، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم ، لسان العرب ، بيروت . دار صادر . ١٤١٠هـ - ١٩٩٠ م .

نورشيف عبد الرحيم رفعت . دراسات في مقارنة الأديان . القاهرة . المطبعة الإسلامية الحديثة ١٤١٧ هـ ١٩٩٧.

ابن هشام . سيرة رسول الله . بيروت . دار الجيل .

هونكه ، زيغريد ، شمس العرب تسطع على الغرب. نقله عن الألمانية فاروق بيضون

وكمال دسوق راجعه ووي. بيروت. دار الجيل ودار الآفاق الجديدة . ١٤١٣ - ١٩٩٣

* أبوليلة ، محمد محمد . مشكلة الجمود وقضية الاجتهاد ، القاهرة . ندوة رابطة الجامعات الإسلامية - ١٩٩٩.

--------- ، " نصوص إسلامية في الفلسفة والأخلاق . ترجمة ودراسة " باللغة الإنجليزية . القاهرة . الفلاح . تحت الطبع .

مادلين نصر . صورة العرب والإسلام في الكتب المدرسية الفرنسية . مركز دراسات الوحدة الفرنسية . ١٩٩٥ .

المصادر الأجنبية

Abu Laylah , M. The status of Women From the Islamic Perspective with a Critical study of the Draft Platform for Action for the fourth World Conference on Women. Beijing, China, 1995 Cairo, al Matbaa al-Islamiyya al Haditha,1416-1996.

Daniel, Norman, Islam , Europe and Empire, Edinburgh 1966.

_____Islam and the West , Oxford . Oneworld Publications 1997

Arnold T. W., The preaching of Islam , Pakistan, 1976.

Armstrong , Karen , A history of God . Ballantine Books, New York, 1991.

Attwater, Donald - A Dictionary of Saints, Great Britain. Penguin Books1965.

Cross F. L .(ed.) The Oxford Dictionary Of The Christian Church . London. Oxford university press1961.

Djait , Hichem, Europe and Islam .. University of California Press 1985.

Gibbon , Edward, Decline and Fall of the Roman Empire, ed. by J.B Bury , London, 1909-1914.

Guillaume, Alfred, Islam. Great Britain, Pelican books 1976

----------, The Life of Muhammad, Atranslation of In Ishaqs Sirat Rasul Allah, Oxford , Oxford university press , 1978.

Hughes Thomas Patrick, New Delhi, Cosmo publication,1978

Humphreys, R.Stephen, Islamic History, London, I.B. Tauris and Co. Ltd. 1991.

Hunke, Sigrid, Allah's Sonne Uber Dem Abendland Unser Arabisches Erb.

Margoliouth, D. S. Mohammed and the Rise of Islam, New York ,Putnam , 1906.

Merrill C. Tenney ,(General Editor) The Zondervan Pictorial Encyclopedia of

the Bible . U. S. A. The Zondervan Corporation , 1975.

. Rodinson , Maxime, Mohammed. England, Penguin Books, 1971.

_____, Israel and the Arabs, England, Penguin Books, 1982.

_____, Islam and Capitalism, England, Penguin Books, 1966.

Ruthven , Malise, Islam In The World , England, Penguin Books 1991.

Southern, S. W. Western Views of Islam in the middle ages, Cambridge, Harvard University press, 1962 .

Stoddard, Lothrop, The New World of Islam ,New York, Charles Scribners Sons . 1925.

Watt. W. Montgomery. Muhammad prophet and statesman, Oxford University press 1978.

_____Muhammad at Medina ., Oxford,Clarendon Press,1956.

_____Muhammad at Mecca, Oxford , Clarendon Press , 1953.

_____The Majesty that was Islam , London , Sidgwick and Jackson,1976.

obeikandl.com